الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الموضوعاتيــة فــي شعــر النقائــض أشعــار جريـر والفرزدق ـ أنموذجــا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص: مناهج النقد

إعداد:

- برقية بلال

إشراف الأستاذة:

صليحة بردي

السنة الجامعية: 2016/2015

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا

على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل

وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات

ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة صليحة بردي التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها

ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث .

ولا يفوتنا أن نشكر كل الأساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

اهداء

إلى من نزلت في حقّهما الآيتين الكريمتين؛

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)﴾.

سورة الإسراء.

أهدي هذا العمل المتواضع أمي وأبي حفظهما الله لي،

اللّذان سهرا وتعبا على تعليمي، وشاركا في إتمام هذا العمل من قريب أو من بعيد

وإلى أفراد أسرتي، سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضل

إلى كل أقاربي

إلى كل الأصدقاء والأحباب دون استثناء

إلى أساتذتي الكرام ورفقاء الدراسة

راجيا من الله تعالى أن يجعل في عملي هذا نفعا

للطلبة المتربصين المقبلين على التخرّج.

مقدمة

يعد الشعر من أرقى الفنون الأدبية العربية منذ العصر القديم حتى عد وعاء يعبئ فيه الشاعر العربي أحاسيسه ومشاعره وأفكاره وتعد النقائض أيضا من أرقى فنون الشعر في العصر الأموي، فقد كانت ظاهرة أدبية مميزة، حيث مثلت لونا من ألوان الصراع الأدبي بين الشعراء وعلى الرغم من كونها امتدادا لمساجلات العصر الجاهلي إلا أنها اعتبرت لونا جديدا من ألوان الأدب والمناظرة الأدبية، لما أحدثته من تقنيات جديدة في مجال الجدل والمحاجة.

النقائض فن جديد في الشعر العربي وربما يعتبره آخرون امتداد لشعر الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام إلا انه في الواقع اتخذ طابعا جديدا فالنقائض قصائد في منتهى القوة والبلاغة والعاطفة الشعرية تمتاز بطولها وقد قالها فحول شعراء العربية في العصر الأموي في الرد على الشاعر الخصم آو الرد على قصيدة الخصم بحيث ينقضون ما فيها من مدح ويحولونه إلى ذم والفخر إلى هجاء ويظهر كل شاعر منهم مثالب الآخر وعيوب قومه وينسب الشاعر القائل الفخر والمدح إلى نفسه أو إلى قومه ومن إليهم النقائض قصائد تشترك في الوزن والقافية والروي فكل قصيدتين متضادتين تأتيان من بحر واحد وروي واحد وقافية واحدة كأنهما قصيدة واحدة لولا اختلاف المقاصد والأهواء لدى الشاعرين.

وقد شاعت النقائض في هذا العصر الأموي نتيجة للصراع الحزبي أو القبلي أو العداء الشخصي بين الشعراء أنفسهم حتى أصبحت فنا جديدا من فنون الشعر العربي له شعراؤه وفرسانه وقيلت فيه القصائد الطوال الرائعة التي أعجب بها الأدباء والنقاد واعتبرت من روائع الشعر العربي النقائض فن متطور من الهجاء الجاهلي حيث يعتبر البذرة الأصلية له والقصيدة في هذا الفن تختلف عن قصيدة الهجاء كونها ملتزمة الرد والنقض لما يرد في القصيدة المقابلة مع التزام القصيدة الناقضة نفس وزن وقافية وروي القصيدة المنقوضة.

ويمكننا أن نقول أنها لم يكن لها وجود في الشعر الجاهلي أو شعر صدر الإسلام وأنها وليدة هذا العصر وهي فن من فنون الشعر العربي الجديد في العصر الأموي.

إن هذه النقائض زادت من حدة الخلاف وشدة النزاع الحزبي والقبلي بين الأطراف المتنازعة حيث ذهب الشعراء في البحث عن مثالب بعضهم البعض ومثال أقوامهم واللهاث وراء معرفة كل مثلبة في الشاعر آو في قومه وعشيرته في الماضي أو في الحاضر وان كانت خافية إلا أنها رسمت صورة لحياة المجتمع العربي والقبلي وكانت سببا مباشرا في دراسة المجتمع القبلي من قبل هؤلاء الشعراء وأحداث عصرهم فكانت مصدرا مهما من مصادر تاريخ العصر الجاهلي فهي نبش في التاريخ وراء الأحداث وما تمخض عنها من نوازع وأمور تهم هذا الطرف أو ذاك أنها البحث في التاريخ للقبائل العربية ومعرفة مفاخرها وإحداثها ونوازعها وما لها أو عليها ومثالبها قد هيأت للشعراء أصحاب النقائض المجال للفخر بها أو الطعن فيها، فما هي أهم المواضيع التي عالجها شعر النقائض؟

وقد تحددت خطة بحثنا في هذا الموضوع، عبر **فصل الأول** تطرقنا فيه لتحديد شعر النقائض تحديد مفاهيمي، عبر مبحثين؛ أوّل درسنا فيه تحديد اللغوي والاصطلاحي لشعر النقائض؛ وثان عرضنا فيه النشأة والظهور، وتقسيماتهم لها؛ من البعد القيمي لشعر النقائض سياسيا واجتماعيا فكريا وفنيا.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه الموضوعات في شعر النقائض، كذلك عبر مبحثين أول عرضنا فيه أهم شعراء النقائض الأخطل وفرزدق وجرير أما ثان درسنا فيه نماذج شعرية للجرير والفرزدق في الكرم، الفخر، الهجاء، الوصف، المدح، الرثاء، الحكمة والشجاعة.

واتبعت منهجًا وصفيًا تاريخيًا، ويحتوي بحثي هذا على فصلين لكل فصل مبحثين.

ومن بعض المراجع التي رجعت إليها أيضا العمدة لابن رشيق القيرواني، والصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، وكتاب الأغاني. وتراجم الرجال، وترجمت خاصة

لرجال النقائض الذين تفاخروا وتهاجوا أو كانوا أساسا للنقائض وشاعت على أيديهم فهم جرير والفرزدق والأخطل أهم شعراء النقائض في العصر الأموي.

ومن العراقيل التي اعترضت سبيلي أثناء إنجاز هذا البحث، مشكلة الوقت حيث أني بذلت جهدًا مضنيًا، واستهلكت وقتًا طويلاً في قراءة نصوص الديوان كلها، وفكّ رموز مادّا اللغوية الراقية، كما كان أمر اختيار النماذج الشعرية صعب وذلك لكثرتها. إلا أنه مقابل هذا الجهد استفدت الشيء الكثير؛ فقد صحّحت بعض اً من المفاهيم التي كنت اعتقدها، ومنها أن الصراع الشعري بين جرير والفرزدق كان تنافسيًا لأجل الترويح عن النفوس وإضحاك الناس وإسعادهم؛ بالرغم مما تَحمل نقائضهما من هجاء مر، وإفحاش مُشين، وقذف للمحارم.

وفي الأخير أتقدّم للأستاذة المشرفة "**صليحة بردي**" الشكر الجزيل على كل المساعدات والتسهيلات التي قدّمتها لنا أثناء إعداد هذا البحث، ونصائحها السديدة وإرشاداتها الصائبة، كما لا ننسى ذلك الدعم والتشجيع الذي مدنا به الأساتذة: مكاكي محمد ومداور محمد وقرمال محمد من جامعة خميس مليانة، فجزاهم الله عنا كلّ خير.

وقبل أن نختم، هناك كلمة لابد من ذكرها في هذا المقام، وهي الاعتراف بأن هذا البحث المتواضع هو جهد مقلّ لا ندّعي الكمال فيه، وعسى أن يلتمس لنا القارئ عذر البداية، فالكمال لله وحده.

مدخل

تحديد العصر:

يطلق العصر الأموي على فترة حكم بني أمية لأن كل الخلفاء الذين تداولوا على السلطة كانوا من بني أمية بدءا بمعاوية بن أبي سفيان – مؤسّس الدولة الأموية– وصولا إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر حلفاء بني أمية في الشام.

وعليه فالمقصود بالعصر الأموي هو العصر الذي جرى فيه تحول الخلافة إلى بني أمية حيث استولى معاوية على مقاليد الخلافة عام 41هـ وجعلها وراثية في البيت الأموي إلى أن انتقلت إلى بني العباس عام 132هـ، فهي خلافة عمّرت ما يقارب القرن في المشرق وما يفوقه في المغرب (الأندلس).[1]

- **نشأة الدولة الأموية:**

كانت الجزيرة العربية وأحوال العرب قبل الخلافة الإسلامية على درجة من التفكّك الاجتماعي والسياسي، ولكن مع بزوغ فجر الإسلام جرى التحول الشامل في الفكر العربي فكان الأمر كذلك أن توحّدت القبائل تحت راية الإسلام وتراجعت العصبية القبلية أمام الوحدة القومية العربية، ولما لحق عليه السّلام بالرفيق الأعلى وأصل الخلفاء الراشدون مسيرته في بث قيم الإسلام وتعاليمه وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

وبالرغم من هذا الجانب الإيجابي إلا أن وفاته عليه السلام قد أعقبتها أزمة سياسية حادة هي مسألة الخلافة ومن أحق بها من المسلمين، فقد احتدم النزاع بين طائفتين من المسلمين هما المهاجرين والأنصار، إذ أراد الأنصار أن يستأثروا بها "بحجة أنهم آووا

[1] أحمد بن محمد بن عبد ربّه، العقد الفريد، ج03، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص270.

الرّسول عليه الصلاة والسلام، ونصروه حين خذلته قريش، وطمع فيها المهاجرون أو القرشيون لأنهم قومن الرسول عليه الصلاة والسلام وآله الأدنون".[1]

ولأن الرسول كان قد جعل الخلافة في قريش بناء على قوله: "الأئمة من قريش"،[2] فقد بويع أبو بكر في سقيفة بني ساعدة استنادا إلى مبدأ الشورى، الأمر الذي أثار حفيظة الأنصار وأجّج قرائح شعرائهم الذين عبّروا عن مدى استيائهم وتحسّرهم.

وقبل وفاته – رضي الله عنه – استخلف عمر بن الخطاب مع إجماع الأمة عليه، هذا الأخير كان أوّل من جعل الخلافة شورى بين ستّة من المسلمين[3] وهو الأمر الذي عدّه معاوية من الأسباب الأولى التي شتّت أمر المسلمين وفرّقت أهواءهم وخالفت بينهم، كما يظهر في قوله: "إنه لم يشتّت بين المسلمين وزلا فرّق أهوائهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التي جعلها عمر في ستّة نفر"،[4] ولعلّ مردّ ذلك كونهم جميعا من طائفة المهاجرين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقربين إليه.

وبعد وفاة عمر بويع عثمان بن عفان عملا بمبدأ الشورى وفقا لما جرت عليه العادة لدى المسلمين حتى ذلك الوقت، وكانت الهوّة واضحة بين سيرة عثمان وسيرة الخليفتين السابقين له نظرا لما عرف عنه من سياسة كانت أكثر ليونة وأقلّ حزما، وما أثر عنه من تقريب أهله وإفراد المناصب لهم دون غيرهم،[5] فكان أن شكّل ذلك عاملا لانتشار الفتنة بين

---

[1] أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د.ط، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت، ص130.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج03، ص274.

[3] مثلما يروي ذلك الليث بن سعد في قوله عن عمر: "جعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين وهم علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف"، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج05، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ص26. وأنظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، مراجعة صدقي جميل العطار، ج05، ط02، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002، ص77.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج05، ص33.

[5] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ج01، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص14، 16.

أفراد الأمة الواحدة والسخط على حكم عثمان وعملائه، ذلك السخط الذي أدّى في النهاية إلى مقتله.

وقد كان لمقتله أثرا بالغا في تاريخ الخلافة الإسلامية عامة وصدى عميقا في تاريخ الخلافة الأموية على وجه التحديد، وهكذا كان لابد بعد مقتل عثمان من اختيار خليفة آخر يؤمّ المسلمين، فوقعت مبايعة علي وإن كانت "بيعة لم تكتمل"،[1] إذ بالذين بايعوه بالأمس ينكثون بيعتهم بعد ذلك والمقصود بهؤلاء طلحة والزبير. ضف إليه انشقاق معاوية عنه بالشام إذ رفض بيعته وأعلنها حربا لا هوادة فيها، وبالتالي فهي مبايعة اختلفتا عن مبايعة الخلفاء الراشدين قبله خاصة وأنها أعقبت انتقال الحكم للأمويين، ثم إنها عرفت اشتداد الخلاف السياسي وكثرة المنازعات والحروب بينه وبين من اتهمته بقتل عثمان مثل واقعة الجمل* وصفين**، أو بينه وبين الخوارج مثل واقعة النهروان.***

ولعل صفين كانت أبعد تلك الوقائع أثرا في تحويل أمر الخلافة لبني أمية، وهاك فكرة موجزة عن ذلك: لقد أسفر الاقتتال بين أهل الشام وأهل العراق يوم صفين عن هزيمة أهل الشام، وعلى إثر ذلك لجأوا إلى خدعة رفع المصاحف باعتبارها الحكم بينهما، فكان والحال كذلك إيثار الطرفين للموادعة وقبول التحكيم الذي تم بين أبو موسى الأشعري ممثّل أهل العراق، وعمرو العاص ممثّل أهم الشام، وكانت نتيجته سطوة عمرو نظرا لما لجأ إليه من

---

[1] أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، د.ط، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت، ص14.

* هي الواقعة التي جمعت بين علي وبين طلحة والزبير وعائشة، وسمية كذلك نسبة للجمل الذي كانت تركبه عائشة والمسمّى عسكرا، الطبري، تاريخ الطبري، ج05، ص.ص 259-280.

** هي الواقعة التي جمعت بين أهل العراق بقيادة علي وأهل الشام بقياد ة معاوية، وقد ارتبطت بالتحكيم وما أسفر عنه من انتقال الخلافة لبني أمية، عن صفين راجع أبو الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، د.ط، موفم للنشر، 1989، ص.ص 449-470. وعن التحكيم راجع المصدر نفسيه، ج02، ص.ص 471-485، والطبري، تاريخ الطبري، ج05، ص.ص 293-330. وج06، ص: 03، 12، 14، 27.

*** هي حرب علي مع الخوارج عقب التحكيم، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، ص.ص 487-492.

مكر وخداع، ومن ثمّة سطوة معاوية وبيعته بالخلافة نتيجة مكره ودهائه هو الآخر، وهو الأمر الذي أثار سخط أنصار علي لما فيه من عصف لمبدأ الشورى.

وكان أن أفضى ذلك النزاع السياسي بين أهل العراق وأهم الشام إلى تشتيت أفراد الأمة وانقسامهم قسمين هما: أنصار علي يمثّلهم أهل العراق وأنصار معاوية يمثّلهم أهم الشام مما فتح المجال واسعا لتأسيس جبهتين سياسيتين متعارضتين في المبادئ والأهداف، ما فتئتا تتصارعان حول الخلافة، وهما الجبهة العلوية والجبهة الأموية.

إن العصر الأموي عصر متميّز على كافة الميادين، خاصة الميدان السياسي بثوراته وأحزابه وعصبياته التي لعبت دورا بارزا في توجيه الحركة الأدبية ومدّها بأسباب النموّ والتطور حتى غدت سجلا مهما لكل تلك الأحداث. وبالتالي فقد كان بديهيا أن يتّخذ الأدب في جزئيته قالبا جديدا في شتّى مظاهره تماشيا مع طبيعة الأوضاع الجديدة للعصر التي غدت الموجه الفعلي له. وعلى العموم فقد شهدت الحركة الأدبية – شعرها ونثرها – قفزة نوعية تجلّت مظاهرها في عدّة أمور كانت وليدة عوامل متعدّدة.

- **نهضة الشعر العصر الأموي:**

إن المتتبّع لمسار الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الأموي لاشكّ سيستوقفه كل عصر نظرا لتفرّده عن العصر الذي قبله أو الذي يليه. فالشعر في العصر الجاهلي كان محكوما بذلك الكيان الاجتماعي القبلي لسبب بسيط هو أن الشاعر كان لسان حال قبيلته التي يفاخر بها ويذود عنها، ولكن مع بزوغ فجر الإسلام انحصرت مهمة الشاعر في خدمة تعاليمه، مما ضيّق من أفق الشعر التي لم تلق لها فضاء رحبا إلا في العصر الأموي، خاصة وأن "الشاعر في هذا العهد قد أضاف إلى مهمته القبلية مهمة عليا تتعلق

بمصير الخلافة والدولة وتأييد الحزب"،[1] تماشيا مع ما تفغرّ دبه العصر من خصائص كانت مميّزة على جميع المستويات.

يرى جرجي زيدان أنه "لم يكن للشعر العربي تأثير في النفوس ومنزلة في الدولة في عصر من العصور مثلما كان له في العصر الأموي"،[2] فقد ظلّ الشعر طيلة العصر محافظا على تلك المزية التي وسم بها من أنه ديوان العرب، إذ رافق نشأة الدولة حتى سقوطها فكان المعين على إقرار ذاك النظام الوراثي الذي قام عليه صرح الخلافة الأموية، وخير مثال نضربه على ذلك هو استعانة معاوية بمسكين الدارمي لمبايعة ابنه يزيد،[3] ضف إلى ذلك أن الشعر اتخذ وسيلة لدعم الموقف السياسي والترويج للأحزاب، وهو دور شبيه بدور الصحف والمجلات في عصرنا الحالي، ولنا أن نستدلّ على ذلك بما تفرّد به كل حزب من الأحزاب المتصارعة آنذاك من شعراء كانوا يدعون لها ويدافعون عنها ويشهّرون بها، على غرار ما رأيناه في تناولنا للأحزاب.

وفضلا عن ذلك كله فقد أوكلت للشعر مهمة أخرى، حيث اتخذ وسيلة لتأجيج الفتن والحروب وإثارة الحمية، وإن دلّ ذلك فإنما يدلّ على إيمانهم القوي في أن وقع الكلمة لم يكن دون مستوى وقع السّلاح لا وبل قد يفوقه أحيانا في إحداث الشقاق وتوسيع الهوّة. ولهذا القول ما يدعمه من أبيات للوليد بن عقبة حينما قتل أخوه عثمان.[4] وفي مجال العصبيات المتضاربة فقد أسهم الشعر بقسط وافر في إشاعتها وتغذيتها، وحسبنا هنا أن نشير إلى نموذج واحد ونترك للقارئ الكريم فرصة البحث عن نماذج أخرى عديدة، والنموذج الذي نقصده هو نونية الكميت بن زيد التي أعدّها خصيصا للفخر بالمضرية على اليمنية.

---

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1980، ص219.

[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج01، ص407.

[3] الأصفهاني، الأغاني، المجلد20، ص.ص 126-127.

[4] الأصفهاني، الأغاني، المجلد05، ص80.

وعليه فقد كان لابدّ للشعر أن يعايش الوضع العام للعصر ويتأثّر به وأن يخوض معركة الصراع بين الأحزاب والعصبيات (حرب كلامية) حتى تحوّل قسم كبير من موضوعاته إلى ما يشبه الوثيقة المذهبية والتاريخية كونه كان يرصد تعاليم الأحزاب ومبادئها والأحداث التاريخية المتصلة بها أو المنفصلة عنها. وهذا الكلام نراه وثيق الصلة بالشعر السياسي الذي عرف ذروة تطوّره في العصر، وهذا ما أشار إليه عبد المنعم خفاجي في قوله: "فهذا اللّون من الشعر بحر زاخر تلاطمت أمواجه، وتدافعت أثباجه في هذا العصر المضطرم بألوان العصبيات السياسية والقبلية"،[1] التي أدّت إلى اتساع أفقه وتعدّد شعرائه حتى خلّف لمنا إنتاجا شعريا ضخما ما يزال يشدّ إليه انتباه الباحثين. ولعلّ من أبرز تلك النماذج الشعرية التي تندرج في هذا الإطار هاشميات الكميت – موضوع دراستنا – التي سنفرد لها الحديث فيما بعد.

وإلى جانب النشاط الذي عرفه الشعر فقد نشطت الأغراض الأخرى كذلك كالمدح الذي قال فيه معظم شعراء العصر حبّا في النعمة أو خوفا من النقمة سواء تعلّق الأمر بالمدح السياسي أو التكسّبي، خاصة إذا علمنا أنه من بين مهام الشعر في ذلك العصر اتخاذه وسيلة إلى المال والعيش الكريم.

وبالموازاة مع الصراع السياسي والقبلي فقد نشط الهجاء واتّسعت دائرته ودخل عصر الذهبي، ومن أبرز ضروب المهاجاة التي كانت رائجة آنذاك نذكر: الهجاء السياسي الذي كان قائما بين شعراء الأحزاب السياسية، والهجاء الشخصي الذي كان قائما بين الشعراء أنفسهم. وتطوّر هذا الفن ساعد على النبوغ في فنّ النقائض باعتباره مظهر من مظاهر المنافسة الفنية والقبلية، حتى غدا فنا قائما بذاته سواء تعلّق الأمر بالنقائض القبلية أو الفردية.

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص100.

والذي تجدر إبليسه الإشارة أن كلا من الشعر السياسي والهجاء والنقائض إنما كانت فتونا عكست بصدق ذلك الصراع الأدبي الذي قام جنبا إلى جنب والصراع السياسي.

وفضلا عن تلك الفنون فقط تطوّر غرض الغزل إذ تعدّدت اتجاهاته واتّسعت مظاهره لأنه عرف وحدة القصيدة، كما تفرّد به بعض الشعراء الذين لمع نجمهم في هذا الغرض دون سواه، ونقصد بذبك عمرو بن أيبي ربيعة، وجميع بن معمر على وجه التحديد.

أما عن أهم الاتجاهات التي اتّخذها فيمكن حصرها في "الغزل التقليدي والغزل القصصي".[1] ويأتي في طليعة الأسباب التي كانت معينة على شيوع الغزل بجميع أصنافه الحياة الإباحية التي كانت تحياها وتنعم بها بعض الأمصار الإسلامية (كمكة والمدينة)، وهي حياة كانت السبب كذلك في شيوع شعر الخمرة باعتبارها المواضيع الأكثر حبّا لشياطين الشعر التي وجدت في تلك الأمصار مستقرا وديعا لها. ضف إلى ذلك ما شهده العصر من انفتاح حضاري وامتزاج ثقافي واسع.

وإلى جانب تلك الأغراض فقد امتدت نهضة الشعر لتشمل أغراض أخرى كالرثاء والفخر سواء منه القبلي أو الشخصي، والحماسة التي نجدها أكثر جلاء في شعر الخوارج كونها تتوافق وتعاليمهم.

والذي نلاحظه على معظم تلك الأغراض أنها كانت استمرارا لمذهب الشعراء القدامى، غير أنها وكما يرى عبد المنعم خفاجي "قد تأثّرت بما جدّ من مظاهر الحضارة وألوان الترف، وتشكّلت بصورة البيئة وأحوال المجتمع وظروف السياسة".[2] ثم إن تلك العوامل قد ساهمت في تعدّد مشارب الشعراء وتنوّع اتجاهاتهم حتى غدا لكل شاعر اتجاهه أو مذهبه الخاص كشعراء السياسة، وشعراء الهجاء، وشعراء الغزل.

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص 108-122.

[2] المرجع نفسه، ص87.

وعلى العموم فقد عرف النشاط الشعري في العصر الأموي نهضة شهدت لها العديد من المصنفات يمكن للقارئ الكريم العودة إليها لتفصيل ما أجملناه في حديثنا. ولعلّ خير ما وصف به الكفراوي تلك النهضة قوله: "...فينهض الشعر من عقاله، وينفض عن مناكبه غبار الزمن، وصدأ الإهمال وتصبح الجزيرة العربية وكأنها روضة غنية بالأزهار تجوس خلالها مجموعة ضخمة من خلايا النحل ذات دويّ هائل، وطنين مستمر، وكل خلية منها مشغولة بشأنها، فهذه عاكفة على السياسة، وتلك على الغزل، وثالثة منكبة على الخمور تكرع منها وتتغنّى بها، ورابعة تطلب المال ما وجدت إليه سبيلا، وأخيرا هناك طائفة تشبه الزنابير، تغير على تلك الخلايا ثم يغير بعضها على بعض، وهؤلاء هم شعراء النقائض".[1]

وقبل أن نختم حديثنا عن تلك النهضة الشعرية نرى أنه من الواجب أن ننبّه لفكرة جوهرية هي أن تلك النهضة لم تقم كطرف نقيض للشعر الجاهلي، بل على العكس من ذلك ظلّ هذا الأخير كما يصفه عبد القادر القطّ "التراث الأوحد للشعراء في العهد الأموي، منه يتعلّمون جميعا وعليه يتخرّجون".[2] فلا عجب –إذن– ما نصادفه في أشعار بعضهم من مجاراة للقدامى في احتذاء تلك الهندسة الفنية للقصيدة القديمة في بنائها وألفاظها وصورها وأساليبها والنسج على منوالهم.

ومن هنا نخلص للقول أن الشعر الأموي هو صورة من المزاوجة التي تمّت بلين التقاليد الفنية الجاهلية وروح العصر الجديدة أو ما عبر عنه شوقي ضيف بمصطلحي التطور والتجديد في مصنّفه "التطوّر والتجديد في الشعر الأموي".

[1] محمد عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، ج01، ص89.

[2] عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص313.

- **نهضة النثر في العصر الأموي:**

صاحبت نهضة الشعر في ذلك العصر نهضة النثر، فكان من أبرز الأشكال النثرية آنذاك الخطابة والكتابة والنقد.

ففيما يخص الخطابة فإنها عرفت نهضة قوية استدعتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية والدينية. وهي نهضة استكملت من خلالها عناصرها الفنية بعد صدر الإسلام. ولعلّ أبرز العوامل المساهمة في نهضتها ما تأتي لأدباء ذلك العصر من مواهب بيانية ورثوها عن أسلافهم مما منحهم مقدرة خطابية فذّة، إذ بلغوا مستوى راقيا من حسن البيان وبلاغة المنطق والفصاحة،[1] وإلى جانب ذلك فقد هيّأت الظروف الدينية لازدهارها والظروف السياسية كذلك المتمثلة في كثرة الخصومات القبلية والصراعات الحزبية والفتوحات الإسلامية التي اتخذت من الخطب أداة لإثارة الحماس وبثّ الدعوات، مما يدلنا على أن الخطابة كانت قرينة الشعر في القيام بتلك المهمة، لاسيما إذا علمنا أنه مثلما استقلّ كل حزب آنذاك بشعرائه فقد استقلّ كذلك بخطبائه.

وعلى العموم فقد اتّخذ هذا الفنّ في ذلك العصر أداة "في الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب، وفي الجدل الديني...، وفي الوفادة على الخلفاء وولاتهم، وفي المناقضات والمفاخرات والمحاورات... كما كان الخلفاء والولاة والأمراء يستعملونها أداة للوعيد والإنذار والتهديد..."،[2] مما جعلها تتّخذ أشكالا متعدّدة تراوحت بين الخطب السياسية والخطب الدينية وخطب الوفود.

وإلى جانب الخطابة فقد اتّسعت حركة التدوين وعظم الاهتمام بها "لاتساع أعمال الخلفاء، وكثرة شؤون الحكم، وتعدّد الدواوين".[3] فكان من نتائج ذلك أن ازدادت عناية العرب

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط01، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص405.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص237.

[3] المرجع نفسه، ص266.

بتدوين معارفهم وأخبارهم في الجاهلية وصدر الإسلام. يقول شوقي ضيف "وكان من أوائل ما عنوا به من معارفهم العربية الخالصة أخبار آبائهم في الجاهلية وأنسابهم وأشعارهم"،[1] ولذلك اشتهر عدد غير قليل من الرواة في ذلك العصر. وعلاوة على ذلك فقد عنوا بتدوين معارفهم الدينية من تفسير وفقه وحديث، وتدوين المغازي والفتوح وأخبار الأمم الغابرة.

وإلى جانب نشاط الخطابة والكتابة فقد نشط النقد بما تهيأ له من عوامل عدّة أبرزها عناية الدولة بالحركة الأدبية وبثّها لروح المنافسة بعقد المجالس الأدبية، وما انجرّ عنها من ضخامة الإنتاج الإبداعي وتعدّد الشعراء والأدباء، مما كان له صداه البالغ في ظهور شريحة عريضة من النقاد ضمّت الشعراء والأدباء والخلفاء.

وننبه في الختام لنقطة جوهرية مفادها أن ليس هذا كل ما أهداه الأمويون للأدب العربي شعره ونثره وإنما هناك ألوان إبداعية أخرى لم يسعنا المقام للوقوف عندها، ولكنها تشكّل في عمومها جوانب من الإبداع الأدبي الذي يشعّ بالبيان وينبض بالأصالة الممثّلة لروح العصر وفكره.

- **عوامل النهضة الأدبية:**

إذا كان هناك إقرار بنهضة الأدب في العصر الأموي فهي نهضة تجلّت مظاهرها في عدّة أشكال إبداعية خضعت في ظهورها وتطوّرها لجملة من العوامل يمكن أن نستنتجها مما سبقت الإشارة إليه من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية باعتبار الأدب جانبا مكمّلا لتلك الجوانب لا يمكنه أن ينفصل عنها. وأهمّ تلك العوامل ما نوجزه في النقاط التالية:

1- **الخلافات السياسية:** لقد عرف العصر الأموي خصوبة الحياة السياسية من حيث الأحداث وشدّة الصراع بين الأحزاب المتعارضة العصبيات بشتى أشكالها، مما أوجد

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص451.

مجالا خصيا أمام الشعراء والأدباء لإنتاج نصوص إبداعية صوّرت ذلك الوضع العام أحسن تصوير.

2-**عناية الدولة بالحركة الأدبية:** لقد ازدادت عناية الدولة خلفاء وأمراء وولاة بالحركة الأدبية وتشجيعهم لها حتى أن الكثير منهم كانوا شعراء وأدباء يطربون لكل مت هو جميل من فنون القول. وتجلّت ملامح عنايتهم تلك من خلال عقد المجالس الأدبية التي كانت تضم أصنافا مختلفة من الشعراء والأدباء، كما امتدت كذلك لتشمل العلماء والفقهاء مما أدى إلى إذكاء روح المنافسة التي غذّتها الهبات والعطايا، فكان ذلك عاملا مساعدا على ازدياد عدد المبدعين في ذلك العصر وخاصة الشعراء. وقد قدّم لنا جرجي زيدان نتائج إحصائية لشعراء العصر الأموي بالنظر إلى قبائلهم وأغراضهم.[1]

3-**ازدهار الثقافة العربية:** لقد تفتّقت أكمام الثقافة العربية آنذاك في مختلف ضروب العلم والمعرفة الدينية واللغوية والأدبية لاسيما بعد نشاط الرواية وانبعاث حركتي الترجمة والتدوين، مما انعكس إيجابا على الثقافة التي تعدّدت مواطنها، حيث عرفت بعض الأمصار الإسلامية آنذاك كالبصرة والكوفة نشاطا أدبيا كبيرا تمثّل في إقامة أسواق أدبية كالمربد والكناسة التي كان يلتقي فيها كبار الأدباء والشعراء والعلماء لإنشاد الشعر ونقده ورواية الأخبار. ضف إلى ذلك الحياة الرغيدة التي كانت تنعم بها أمصار أخرى كمكّة والمدينة والشام، وتنوّع مظاهر الحضارة بها مما أعان على نهضة الحركة الأدبية لاسيما أشكال خاصة منها كالغزل والخمرة.

4-**تنوّع مصادر الثقافة:** الذي تأتي لهم عن طريق الإطلاع الواسع على نصوص العصر الجاهلي والإسلامي، إضافة إلى النّص القرآني والحديث النبوي، ومحاولة استلهام معانيها وألفاظها وأساليبها، مع ما تمثّله تلك النصوص من نماذج فريدة في الفصاحة والبلاغة.

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج01، ص.ص 427-431.

5-**الامتزاج الثقافي والحضاري:** من مصادر ثقافتهم كذلك الإطّلاع الواسع على ثقافات الأمم الأجنبية وآدابها بفعل الامتزاج الثقافي والحضاري الذي تمّ لهم بفضل الفتوحات، وما نجم عنه من نمو العقل العربي في شتى المجالات كالأدب، إذ توسّع أفقه وفتح المجال واسعا أمامه للتطور والتجديد.

وقد كان لكل عامل من تلك العوامل فعاليته الخاصة في إذكاء الحركة الأدبية وتنشيطها.

المباحث:

1- التحديد اللغوي والاصطلاحي

2- النشأة والظهور

يقف الباحثون في ميدان النقد والأدب عند العصر الأموي كثيرا ولاسيما أمام فنين أدبيين ظهرا بشكل متميز في هذا العصر فشغلا بيئتين مهمتين من أقاليم الدولة العربية الإسلامية فشاع الغزل في بلاد الحجاز بنوعيه العذري والصريح واشتهر في العراق فن

النقائض ذلك الفن الذي استوقف العرب كثيرا لعودته بهم إلى الجاهلية التي لازالت تجري في عروقهم، وأشهر أعلام هذا الفن جرير والفرزدق، إذ كان جرير قطب الرحى الذي يطحن عليه الداخلون غمار هذه المعركة الأدبية ولم يصمد أمامه إلا الفرزدق.

المبحث الأول: التحديد اللغوي والاصطلاحي.

إذا سمع الناس كلمة النقائض تبادر إلى ذهنهم هذه القصائد الطوال التي تناشدها جرير والفرزدق أيام بني أمية، وقد يذكرون معها ما تناشد جرير والأخطل لأنها كلها نوعا من الجدل والمهارة التي شغلت فحول القرن الأول، وكان فضل اختراعه راجع إلى العصر الأموي ورجاله، والناس حين يفهمون ذلك معذورون لأن هذه النقائض الأموية امتازت بأمور جعلتها تحجب ما سبقها وتخيل للناظر أنها أول صوره للمناقضة في تاريخ الشعر العربي.

أما الحق التاريخي فيرجع بنشأة النقائض إلى طفولة هذا الشعر العربي في جوانب هذه الصحاري والقفار، فلم تستقم أوزانه وتقرر بين الشعراء حتى صارت أداة لهذا الجدل الشعري الذي تتحد موسيقاه وموضوعاته وإن تقابلت معانيه وجهاته، وكانت المناقضة ظاهره نفسيه طبيعية نشأة على ملكة الشعر وموهبته فتتجاوب أصداؤها على ألسنتهم أوزانا وقوافي وأخيلة ومعاني، وتنتقل هذه النغمة بطريقة (العدوى)من نفس الأول إلى نفس الثاني.

أما فن النقائض في الشعر الجاهلي فقد نشأ طفلا يخبو حتى استقامت قدماه فنراه شابا قويا في ظلال السيوف، وبين الأيام، أما الإسلام فقد ظفر بت فنا موطأ الأكتاف، كثير الأبواب، أما الأمويون فقد أشعلوا نارا موقده في نزعتها.

1-النقائض لغة:

جمع نقيضه مأخوذة في الأصل من نقض البناء إذا هدمه والحبل إذا حله، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضا خالفه، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه،

والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجئ ما قال ضد الأول. والنقيضة الاسم يجمع على النقائض ولذلك قالوا نقائض جرير والفرزدق.

فالمعنى اللغوي للنقائض له طوران هما:

أحدهما يتمثل في نقض البناء أو الحبل بعد عقده وإبرامه. والثاني يبدو في نقض العهود والمواثيق.

2-النقائض اصطلاحا:

هي أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيده هاجيا أو مفتخرا فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول.[1]

فنجد في النقائض لابد من وحدة الموضوع، ووحدة البحر، ولابد من وحدة الروي وهو (النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءا من النظام الموسيقي).

وأيضا لابد من حركة الروي وإن اختلفت في بعض النقائض كما في اللاميتين :الأولى للفرزدق ومطلعها:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول[2]

رد عليه جرير بنقيضته.

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس وبين طلح الأعزل[3]

---

[1] أحمد محمد الخوف: أدب السياسة في العصر الأموي، ط1، 1960م، دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ص 228-229.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثني، نقائض جرير والفرزدق، طبعة مكتبة المثني في بغداد، ص182.

[3] المرجع نفسه، ص211.

(القصيدتان من بحر الكامل اختلفت فيهما حركة الروي)

فالمعاني الأصل فيها المقابلة والاختلاف لأن الشاعر همه أن يفسد للشاعر الأول معانيه، وقد تكرر هذه المناقضة بأي بحر وقافيه، وقد يبدأ الثاني فيرد على الأول.

هذا الأخطل يقول في قصيدته التي مدح بها عبد الملك بن مروان هاجيا بني كليب بن يربوع رهط جرير، ومفضلا عليهم بني دارم عشيرة الفرزدق خصم جرير الألد:

أما (كليب بن يربوع) فليس لهم عند التفارط إيراد ولا صدر

مخلفون، ويقضي الناس أمرهم وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

ملطمون باعقار الحياض،فما ينفك من (دارمي) فيهم اثر[1]

فيرد عليه جرير بقوله من قصيده:

أرجو لتغلب إذ غبت أمورهم ألا يبارك في الأمر الذي ائتمروا

خابت بنو تغلب إذ ضل فارطهم حوض المكارم، إن المجد مبتدر

الظاعنون على العمياء إن ظعنوا والسائلون بظهر الغيب: ما الخبر[2]

فالموضوع واحد هو الهجاء، والبحر واحد هو البسيط، والقافية راء مضمومة في النقيضتين، وأما المعاني من باب واحد وهو الضعه والهوان ألا أن كلا من الشاعرين ألصقها برهط الآخر. قال الأخطل أن كليب بن يربوع لا مفاخر لهم يقفون بها بين الناس فيرد عليه جرير بأن تغلب لا تعرف المكارم التي يستبق إليها الناس.

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ط1406هـ-1986م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص107.

[2] محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، بيروت-لبنان، ص198.

فطريقة المناقضة هنا أن جريرا رد على الأخطل معانيه، وانفرد الأخطل بتصوير مذلة كليب، كما أن جريرا لم يأمل من بني تغلب صلاحا، ومن هذا نجد أن ترتيب الأبيات في النقيضة لا يلزم أن يكون على ترتيب الأولى، وهذا الوضع الاصطلاحي قال به شعراء النقائض أنفسهم وذكره المسعودي.[1]

"وقد قال دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها".

وصرح به عقال بن هاشم مناقضا ابن مياده الرماح بن ابرد المري فيما كان بين اليمن ومصر من ملاحاة أيام الوليد بن يزيد، قال ابن ميادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الروية يسبح

وما الشعر إلا شعر قيس وخندف وقول سواهم كلفة وتملح

فقال عقال يجيبه:

ألا أبلغ الرماح (نقض) مقالة بها الأخطل الرماح أو كان يمزح

لئن كان في قيس وخندف ألسن طوال وشعر سائر ليس يقدح

لقد خرق الحي اليمانون قبلهم بحور الكلام تستقى وهي تطفح

وهم عملوا من بعدهم فتعملوا وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا

فللسابقين الفضل لا يجحدونه وليس لمخلوق عليهم تبجح

[1] مروج الذهب، ط1، بيروت، 1353هـ-1965م. ت: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر، ص (ز).

هذه الصورة الاصطلاحية للمناقضة شبيهه بصورة المعارضة.[1] وأيضا قال الأخطل من البحر البسيط على "روي الراء المضمومة":

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم (نوى) في) صرفها غير[2]

فأجابه جرير من البحر نفسه وعلي الروي نفسه:

قل للديار: سقى إطلالك المطر قد هجت شوقا وماذا تنفع الذكر[3]

وربما اشترك في المناقضة بضعة شعراء فمن ذلك مثلا قول الفرزدق يخاطب

جريرا:

يا ابن المراغة، والهجاء إذا التقت أعناقه وتماحك الخصمان[4]

فقال جرير يرد على الفرزدق:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان[5]

وقال الأخطل يرد على جرير أيضا:

بكر العواذل يبتدرن ملامتي والعاذلون فكلهم يلحاني[6]

---

[1] أحمد الشايب "أستاذ بجامعة القاهرة سابقا": تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط3، 1966، ص602.

[2] مهدي محمد نصر الدين، ديوان الأخطل، ص100.

[3] ديوان جرير، ص196.

[4] ديوان الفرزدق، ص344.

[5] ديوان جرير، ص468.

[6] ابن الأعرابي: شعر الأخطل، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1891م، ص400.

والأصل في النقائض أن تكون طوالا، وفيها يفتخر الشاعر بنفسه وبقومه، وبفضائل نفسه كالشعر والكرم والشجاعة ثم بأحساب قومه كالحروب التي انتصروا فيها والعهود التي وفوا بها والمحاسن التي أتوها من الكرم والدفاع عن الأعراض والقيام بشأن القبيلة.

بعدئذ ينقب الشاعر عن معايب خصمه وقوم خصمهم فيذكرهم جميعا بالغي والبخل والجبن، حقا أو باطلا، ويذكر أيضا الحروب التي هزموا فيها والعهود التي نقضوها والمخازي التي عرضت لهم، وفي النقائض إقذاع شديد وفحش وبذاءه، إلا أن المتناقضين قد تعرضوا دائما للعيوب الخلقية النفسية كالبخل والجبن والغدر والزنا، ولم يتعرضوا للعيوب الخلقية الجسدية كضعف الجسد عامة ولم يكن ذلك محمودا عند النقاد.

وقد يمدح الشاعر خليفة أو أميرا بقصيده يعرض فيها أيضا لهجاء خصمه أو للرد عليه فتكون نقيضة، قال الأخطل يمدح عبد الملك ويهجو جريرا:

إليك أمير المؤمنين ، رحلتها على الطائر الميمون والمنزل الرحب

وفي كل عام، منك للروم، غزوة بعيدة آثار السنابك والسرب

لحى الدهر قوما من كليب كأنهم جداء حجاز لاجئات إلي زرب[1]

وقد يرثي الشاعر امراته ثم يهجو خصومه كما فعل جرير:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

أفأم حزرة يا فرزدق، عتم غضب المليك عليكم القهار

كذب الفرزدق، إن عود مجاشع قصف وإن صليبهم خوار[2]

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ص 25-26-29.

[2] ديوان جرير، ص 154 أو 156 أو 158.

وقد يتغزل الشاعر في قصيده طويلة ثم يعطف على خصمه يهجوه كما فعل جرير أيضا:

بان الخليط، ولو طوعن ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

جهلا تمنى حدائي من ضلالتهم من صولة المخدر العادي بخفانا[1]

غادرتهم من (حسير)[2] مات في قرن[3] فقد حدوتهم مثنى ووحدانا

المبحث الثاني: النشأة والظهور لشعر النقائض.

1- ظروف النشأة:

نشأت النقائض مع نشأة الشعر، وتطورت معه وإن لم تُسمَّ به مصطلحًا. فقد كانت تسمى حينًا بالمنافرة وأخرى بالملاحاة وما إلى ذلك من أشكال النفار. وكانت في البداية لا تلتزم إلا بنقض المعنى والمقابلة فيه، ثم صارت تلتزم بعض الفنون العامة دون بعضها الآخر، مما جعلها لا تبلغ درجة النقيضة التامة، وإن لم تبعد عنها كثيرًا، ولاسيَّما في جانب القافية. ولاشك أن النقائض نشأت . مثل أي فن من الفنون . ضعيفة مختلطة، وبمرور الزمن والتراكم المعرفي والتتبُّع للموروث الشعري، تقدَّم الفن الجدلي وأخذ يستكمل صورته الأخيرة قبيل البعثة، حتى قوي واكتمل واتضحت أركانه وعناصره الفنية. فوصل على يد الفحول من شعراء بني أمية إلى فن مكتمل الملامح تام البناء الفني، اتخذ الصورة النهائية للنقيضة ذات العناصر المحددة التي عرفناها بشكلها التام فيما عُرف بنقائض فحول العصر الأموي وهم جرير والفرزدق والأخطل.

---

[1] خفان: مجاسده (مكان فيه أسود على طريق مكة).

[2] الحسير: الذي ضعف بصره.

[3] قرن: حبل تربط به الحيوانات.

إن أول ظهور لمصطلح (النقض) كان في العصر الأموي، وتحديدا فيما عرف بـ النقائض، وهي تلك المعارك الشعرية التي دارت رحاها بين عدد من الشعراء في العصر الأموي، وكان فرسانها الأخطل وجرير والفرزدق، حيث يكتب الشاعر قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم ناقضا هذه القصيدة مع التقيد بوزنها وقافيتها، وقد تركزت النقائض في العصر الأموي على غرض الهجاء تحديدا حيث كان الشاعر لا يصبر على هجاء خصمه فيجيبه بقصيدة أخرى أكثر إقذاعا وإفحاشا. وقد كان الشاعر يتجه نحو خصمه بقصيدة هاجيًا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله هاجيًا ملتزمًا البحر والقافية والرَّوِيَّ الذي اختاره الشاعر الأول, ومعنى هذا أنه لابد:[1]

– من وحدة الموضوع فخرًا أو هجاءً أو غيرهما، ولابد من وحدة البحر، فهو الشكل الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول، ولابد كذلك من وحدة الرَّوي لأنه النهاية الموسيقية المتكررة للقصيدة الأولى، وكأن الشاعر الثاني يجاري الشاعر الأول في ميدانه وبأسلحته نفسها .

وقد حاول الكثير من الشعراء الصمود في حرب القوافي تلك إلا أنهم اندحروا سريعاً أمام جرير الذي كان سليط اللسان عنيف الهجاء فغلب ثمانين شاعراً رغم أنه ينتمي لأقل بطون تميم شأناً ولم يصمد أمامه سوى الفرزدق والأخطل ونذكر من أولئك الذين غلبهم جرير الراعي النمير الذي هجا بني تميم بقوله:

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فرد عليه جرير رداً مزلزلاً ألحق ببني نمير مسبة لا تمحوها الأيام وكانت سبباً لأن ينبذ بنو نمير شاعرهم حيث قال :

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ص85.

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غاضا

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

الغريب في الأمر أن خلفاء بني أمية ومن خلفهم العلماء لم يحركوا ساكناً إزاء حرب النقائض تلك على الرغم مما احتوته من بذيء الكلام وقذف للمحصنات وأوصاف لا يليق بمسلم أن يتلوث لسانه بها ولعل جعثن أخت الفرزدق كانت أبرز ضحايا تلك الحرب فقد أكثر جرير من ذكرها واصفاً إياها بأوصاف توجب حد القذف ويجمع كل المؤرخين على أنها كانت من التقيات الصالحات وحتى أن جريراً كان يستغفر ربه مما يقوله عنها.[1]

ولحسن حظنا أن الخلفاء لم يكموا أفواه أولئك الشعراء لتصل إلينا تلك النقائض التي أصبحت ملاذاً لكل باحث عن الشعر الحقيقي خاصة بعد أن وصل الأدب العربي في زماننا هذا إلى أسفل سافلين وأصبحنا نطلق على أي متردٍ ونطيح لقب شاعر والحقيقة أن بينه وبين الشعر كما بين المشرق والمغرب إن لم يكن أبعد قليلاً.

الجدير بالذكر أن حرب النقائض استمرت لخمس وأربعين سنة بين جرير والفرزدق وعشرين سنة بين الأخطل وجرير ووضعت تلك الحرب أوزارها بعد أن توفي الفرزدق سنة 110 هـ ورثاه غريمه قبل أن يلتحق به بعد عام واحد ليتركا لنا – مع الأخطل – شعراً ذا قيمة يغنينا عن الالتفات لـ(شعراء) زمن الانحطاط هذا.

ونمو شعر النقائض له أسبابه الاجتماعية والعقلية وكان الناس يجدون فيه نوعا من التسلية والترويح، أما النقائض بحد ذاتها فقد كانت تعبيرا واضحا عن نمو العقل العربي ومرانه على الحوار والجدل والمناظرة.

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ص87.

فالنقائض إذن مصطلح أدبي لنمط شعري، نشأ في العصر الأموي بين ثلاثة، من فحوله هم: جرير والفرزدق والأخطل. وهذا المعنى مأخوذ في الأصل من نقَض البناء إذا هَدَمَه، قال تعالى: ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** ﴾.[1]

وضدُّ النقض الإبرام، يكون للحبل والعهد. وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه. والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه، وفي الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه. والنقيضة هي الاسم المفرد يُجمع على نقائض، وقد عُرف المعنى المادي الذي يتمثل في نقض البناء أو نقض الحبل أولاً، ثم جاء المعنوي الذي يبدو في نقض العهود والمواثيق، وفي نقض القول، وهو المراد هنا، إذ أصبح الشعر ميدانًا للنقض حتى سُمِّي هذا النوع منه بالنقائض. وعلى هذا تكون النقيضة في الشعر أن يهدم الشاعر ما قاله شاعر آخر ويفسده ويبطله عليه، حيث ينظم الشاعر قصيدة من قصائده في الفخر بقومه مثلاً ثم يأتي شاعر آخر يهدم ما قاله بقصيدة أخرى.

أما أشهر من كتب هذه النقائض من الشعراء فهما جرير والفرزدق. وكانا يقومان بهذه النقائض على أنها للتسلية أكثر منها للسبّ والشتم، فهنا احترامٌ للشعر وقبله للرجولة والنخوة، مع أنّ هذه النقائض استمرت قرابة خمس وأربعين سنة... لم يكره فيها الفرزدق جريراً ولا العكس.

2- البعد القيمي لشعر النقائض:

كانت النقائض تمثل في العصر الأموي الجانب المضطرب بالتنازع على الخلافة، ولقيمة النقائض خمسه أوجه هي:

أ. الوجه السياسي:

[1] سورة النحل: الآية 92.

لقد صورت النقائض النزاع السياسي على الخلافة بين الأمويين، قد انتصروا في هذا النزاع السياسي على الخلافة بين الأمويين، انتصارا حاسما، ومع أن الأحزاب الأخرى قد فقدت قوتها الفعالة، فهذه القوه تمثلت في الشعور القبلي الذي بعث من جديد. أن القيسيين (أنصار عبد الله الزبير) قد وقفوا الموقف المناوئ لليمانيين (أنصار بني أمية) في القلاقل المحلية ثم في تعيين الولاة، ثم في الشعر[1].

وشعراء النقائض في غمرة نزاعهم لم ينسوا–أن يشيدوا بعظمة العرب القومية وأن يشيروا إلى اتساع الفتوح الإسلامية، والشعراء الذين دخلوا في هذا النزاع لم يدخلوه وهم يحملون عقيدة أموية أو زبيرية أو علوية، وإنما دخلوه للتكسب، غير أن نفرا قليلين من الشعراء لم يفعلوا ذلك.

الحياة السياسية في عهد بنى أمية تميّز العصر الأموي بالانقسامات الحزبية والأحزاب السياسية المتعدِّدة، وخصوصاً بعد أن تسلّم الخلافة يزيد بن معاوية، وكان سيء التصرُّف، حدثت في عصره مأساة كربلاء، وما كان فيها من قتل الحسين بن علي – رضى الله عنه – ، ومأساة معركة الحَرّة التي استباح فيها جيش يزيد حُرْمة المدينة بقيادة الوليد بن عُقبة المرّي. وحين تدفّقت الأموال من جميع أنحاء الدولة إلى الشام، كثر التّرف، ثم عمّ الرخاء سائر البلاد، وكان الحجاز قُطراً فقيراً غير ذي زرع، وكان فيه كثير من أبناء الصحابة، فرأى بنو أميّة أن يغرقوا الحجاز بالأموال ليشيع التَّرَف، فينصرف السُّكان هناك عن الخلافة وشئونها إلى الحياة المترفة الجديدة، ولذلك شاع في الحجاز التَّرف وكثرت الجواري والمغنيات ، حتى لقد عدّد صاحب كتاب الأغاني أربعين مغنيَّة بالمدينة وحدها. ونبغ في الغناء محترفون كمعبد والغريض وغيرهما، وشاع شعر الغَزَل حتى اختص به بعض الشعراء ، وعلى الجملة (الخلاصة) فقد تغيرت حياة العرب الاجتماعية كثيراً، ولولا أن عدداً كبيراً من

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ص101.

الجنود ظل مجاهداً في سبيل الله، سائراً في حركة الفتوح لجر الترف على المجتمع ويلات كثيرة.

أولا: الشعر

الأحزاب السياسة:

كان للحرب – التي نشبت بين علي ومعاوية (الفتنة الكبرى) –آثارها الكبيرة في المجتمع الإسلامي، ببروز خلافات فكرية، ومذهبية لم تكن معروفة من قبل وظهرت – بذلك – عدة أحزاب لكل منها شعراؤه وخطباؤه مثل:

أولا – حزب الشيعة:

إن تاريخ الشيعة مليء بالثورات والانتفاضات على الحكام الظالمين، حيث اخذ الطغاة يراقبونهم سرا وعلنا مع العلم إن الشيعة لم يتراجعوا عن مبادئهم .

لو تصفحنا كتب الأدب العربي لرأينا إن فنون الأدب الشيعي قد ملئت بها وبالأخص الشعر السياسي الديني: لأنه أدب يلهب العاطفة ويهيجها نظرا لما مر في تاريخ الشيعة من ثورات، خاصة واقعة الطف، حيث الدم أريق، والحرمات انتهكت، والبيوت سبيت ودمرت، والأجساد صلبت. ونتيجة لهذا كله برز شعراء سياسيون أمثال:

الكميت بن زيد الأسدي، ت سنة 126هـ .

همام بن غالب (الفرزدق)، ت سنة 114هـ .

السيد الحميري، شاعر عاش في العصرين الأموي والعباسي ، توفي سنة 173هـ .

الكميت بن زيد، واشتهر بقصيدته البائية:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم ارضي مرارا واغضب

فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا: مسيء ومذنب

وقالوا ترابي هواه ورأيه بذلك ادعى فيهم والقب

فما لي إلا آل احمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب

ومن غيرهم ارض لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من أجل وأرحب

أريب رجالا منهم وتريبني خلائق مما أحدثوهن أريب

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والبب

فاني عن الأمر الذي تكرهونه بقولي وفعلي ما استطعت لأجنب

ب. الوجه الاجتماعي:

البداوة ظلت غالبه على الشعر الأموي، فنجده مملوءا بالمفاخر الجاهلية والبدوية كالفخر بالأنساب وبأيام العرب وبالكلام على الثأر. وظل شعراء المناقضات حتى أواخر العصر الأموي يعدون الحياة البدوية من المعايب القومية، فالأخطل قد هجا الأنصار لأنهم بدويين، وجرير ظل إلى آخر حياته يهجو بني مجاشع لأنهم قيون (حدادون)، ذلك لأن القيانه وسائر الصناعات إنما كان يقوم بها العبيد.

والشعر الأموي امتلأ أيضا بالألفاظ الإسلامية والآراء الإسلامية حتى الأخطل النصراني لم يشذ عن ذلك:

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يوم عارم دكر

الخائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر[1]

أما ذكر جرير والفرزدق وغيرهما للصلاة والحج واقتباسهم من القرآن فظاهر، وقد يكون جرير والفرزدق قد شربا الخمر فعلا ولكنهما لم يصفاها، وجرير كان يعير الفرزدق أحيانا بشربها.

ج. الوجه اللغوي:

للنقائض قيمة لغوية، فشعراء المناقضات حفظوا اللغة العربية كما كانت في الجاهلية:

أ- **لقد حفظوا العدد الأوفر من الألفاظ حتى قيل:** (لو لا الفرزدق لذهب ثلث اللغة، وقيل بل ثلثاها)

ب- كذلك حفظوا لهذه الألفاظ جزالتها، فإن شعراء النقائض استعملوا هذه الألفاظ لتدل على معانيها الصحيحة، فالألفاظ التي حفظت في النقائض، كان أكثرها غريبا متصلا بالمعاني الجاهلية القديمة.

ت- وإذا نظرنا إلى التراكيب نجدها تراكيب متينة تجري على الأسلوب العربي القديم لذلك يقول: (إن النقائض كانت مزيجا من معان قديمة وجديدة ولكن في لغة قديمه).

د- الوجه الأدبي-: كانت النقائض تقليدا واضحا للمعلقات خاصة:

تقليدا في شكل القصيدة، وفي كثرة أغراضها، وطول نفسها، وفي كثير من خصائصها الأخرى كالفخر بالأنساب والهجاء القبلي والنسيب في مطالع القصائد. ومع أننا لا نعجب بالنقائض من الناحية الخلقية والاجتماعية لكن لا ننكر أن شعراء المناقضات قد أضافوا إلى الشعر العربي فنا جديدا هو فن الشعر السياسي.

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ص103.

والنقائض قد قامت على (التكسب)، بخلاف أكثر الشعر الجاهلي .ونشير إلي أن الآراء الإسلامية والآيات الكريمة قد سادت المناقضات. لقد كانت النقائض قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة، ثم كانت إسلامية بمعانيها الجديدة وفي بعض أغراضها.

هـ- الناحية الفكرية:

عاصر شعراء النقائض نشأة (علم الكلام) وتوفي الفرزدق وجرير بعد الحسن البصري (110هـ- 728م) ببضع سنوات لكن لم نجد مسائل الاتجاه العلمي والجدل الديني ولا البحث العقلي قد اتخذت طريقا إلى المناقضات على الرغم من أن البصرة كانت سوقا عظيمه لهذه النقائض.[1]

ذهب أحمد الشايب إلى أنَّ النقائض نشأت مع نشأة الشعر، يقول: "لذلك رأينا هذا الفن ينشأ في حظيرة الشعر الجاهلي طفلاً يحبو، ثم تستقيم قدماه فينمو سريعا حتى نراه شابا قويا ولاسيما في ظلال السيوف وبين (الأيام)، فلما جاء الإسلام ظفر به فنّا موطأَ الأكناف، كثير الأبواب فاستغلَّه في سبيل دولته، حتى إذا جاء الأمويون أشعلوه نارا موقدةً كانت في نزعتها رجعة جاهليّة عاصفة في ظل الدولة الإسلاميّة".[2]

فلا يمكننا أن نحدد عصرا بعينه لنشأة هذا الفن، وترعرعه ثمَّ استوائه على سوقه!! إذ إنَّ قيام أي فن من الفنون لا بدّ وأن تسبقه بعض الإرهاصات الممهّدة لقيامه

لقد قامت النقائض على مقومات عديدة اتكأت عليها، وكانت بمثابة الحافز الأساس لها؛ فهناك حياة الحرب والقتال التي كانت شائعةً في الجاهلية، وحتما فقد أفرزت تلك الحياة إفرازات غذَّت النقائض حينئذ فصارت القصائد مثقلةً بذكر القتلى والأسرى، والإشادة بالانتصارات، والمفاخرة بالأحساب والأنساب...

[1] عمر فروح: تاريخ الأدب العربي، ج1، ط1، ص 364-365.

[2] أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ص02.

وهناك العامل النفسي، وهو ما عبّر عنه أحمد الشايب بـ(المصدر النفْسي)[1] حيث إنّه من البدهي أنَّ من بدأ بالفخر أو الهجاء فإنه – لا محالة – سيجد من يقف في وجهه مفَندا لعناصر فخره أو هجائه، منتصرا لنفْسه أو قبيلته، أو بما يتعلَّق بهما.

هذا فيما يتعلَّق بالعصر الجاهلي، وأما حين جاء الإسلام فقد ظهر إلى جانب ما تقدم – كمقوم من مقومات النقَائضِ – عنصر المفاخرة بدين الإسلام، وبما ترتب عليه من تغيرٍ في المنظومة الاجتماعية حيث جاءت المثل الأخلاقية بمجيء هذا الدين، وظهرت الإمارة، وعن الجهاد كذروة سنام له، ونحو ذلك مما أضاف مخزونا هائلاً عند شعراء النقائض، خاصةً فيما يتعلّق بمن يخالفهم في الدين، أو بمن في دينه ضعف ودخلٌ.

وحينما يتقَدم بنا الزمن لنصل إلى العصر الذَّهبي للنقائض وهو العصر الأموي نجد السياسة مقوما أساسا لها.

إنَّ السّياسة في هذا العصر قد اختلَفَت عنها في عصر النِّبي –صلى الله عليه وسلم– وخلفائه الراشدين –رضي الله عنهم– ذلك أنّ سياسته –عليه الصلاة والسلام– كانت مرتبطة بالدّين، وكذا سياسة خلفائه، فلم يكن –عليه الصلاة والسلام– مفضلا قوما على قوم، أو أسرة على أسرة، أو فردا على فرد إلا بالتقوى، ويكفينا كشاهد على ذلك قوله –عليه الصلاة والسلام– عندما سرقت المرأة المخزومية فجاءه أسامة بن زيد يكلمه في أمرها: "لو كانت فاطمة لقطعت يدها"،[2] وهكذا كان الحال عند الخلفاء الراشدين –رضي الله عنهم– لكن الحال السياسية إبان العصر الأموي أخذت منحى آخر وكأنها بدأت في الابتعاد شيئا قليلا عن الدين، وليس أدل على ذلك من تقديم عبد الملك بن مروان للأخطل –رغم نصرانيته– على غيره من الشعراء المسلمين.

---

[1] تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص39.

[2] صحيح البخاري، ضبطه ورقَّم أحاديثه ووضع فهارسه: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار التقوى للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ، الجزء الثاني، كتاب المناقب، باب ذكر أسامة بن زيد، ص274.

يقول أحمد الشايب: "ولاسيما أنَّ عبد الملك بن مروان كان يؤثر الأخطلَ، ويفضله على سائر الشعراء، ويعده شاعر أمير المؤمنين لإشادته بفضل أمية، ولموقف قومه معهم على قيس عيلان...."[1] فأي سياسة هذه السياسة التي تصطدم مع تعاليم الإسلام والله يقول: ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم....**﴾.[2]

وقال الدكتور شوقي ضيف – رحمه الله –: "فالظروف السياسية في هذا العصر وضعت قيسا في صفوف المعارضة من بني أمية، كما وضعت تغلب في صفوف أنصارهم. ومعنى ذلك أن قيسا وتغلب كانتا على طرفي نقيض في السياسة، وعلى نحو ما استل رجال قيس وتغلب السيوف في هذه المعارك، الحربية أستل شعراؤهما قصائد الهجاء في معارك لسانية...".[3]

ولا أنسى أن أشير إلى تلك الأنشطة السياسية والحزبية التي مارسها المنتمون لكل حزب سياسي في العصر الأموي فقد "رأينا أن المسلمين صاروا في أعقاب (صفين) أحزاباً ثلاثة: الخوارج، والشيعة، والأمويين أو الجماعة، وبعد ذلك بقليل تنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة جمعا للكلمة ودرءًا للشر".[4]

ولكل حزب من تلك الأحزاب شعراؤه الذين لا يرون غيره، ولا يهتفون بسواه الأمر الذي مكن لنشأة فن النقائض من خلال ما يقال من قصائد هجائية أو فخرية بين شعراء كل حزب.

---

[1] تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص180.

[2] سورة المجادلة: الآية 22.

[3] التطور والتجديد في الشعر الأموي، د / شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ص166-167.

[4] تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشايب، الطبعة الخامسة 1396هـ، مكتبة النهضة المصرية، ص195.

وتعد الحيأُة الاجتماعية في العصر الأموي وكذلك العصبيات القبلية من أهم مقومات النقائض، فمهما حاول المرء التنصلَ من حياته الاجتماعية التي يعيشها أو عاشها آباؤه أو أجداده فإنه سيجد نفسه – شاءَ أم أبى – جامحةً إلى تلك الحياة في صورة مفاخرة بقبيلة أو نسبٍ، أو أرضٍ، أو شخوصٍ، ... فلا غرو في أنَّ النقَائض في هذا العصر قد أخذت من الحياة الاجتماعية وقودا لها زاد من وهجها، وأبقى شعراءها أشد ولاءً وأكثر عطاءً لها "فقد كان الفرزدق أشدهم جاهليةً ومفاخرةً، وجرير أقبحهم سفاهةً، وأحسنهم إسلاما، والأخطل أحرص على نصرانِيته، وتغلبيته، ولزوم ذي الرّمّة البادية يصفها وينسب بميّ وخرقاء، وكان الرّاعي كذلك يعتسف في شعره الفلاة بغير دليل ....".[1]

وقد عزا الدكتور إحسان النص اشتداد العصبية القبلية في العصر الأموي إلى دواعٍ اجتماعية، ودواعٍ سياسية وأخرى اقتصادية. فأما الناحية الاجتماعية فمردها إلى انتقال جمهور القبائل العربية من الطور البدوي إلى الطور الحضري، ولا شك أن هذا التطور يمثل خطوة أولية في سبيل القضاء على الروح القبلية.[2]

وكان كذلك للمصاهرات الدور الكبير في اشتداد العصبية القبلية ذلك حين رأينا حرص خلفاء بني أمية وأشرافهم على مصاهرة الأسر العريقة النسب.

أما الدواعي السياسية فقد كانت مقوما مهما من مقومات أشتداد العصبية القبلية في العصر الأموي حيث إن بني أمية وجدوا في إثارة تلك العصبيات في بعض الأحوال كسبا سياسيا لدولتهم، لأن اشتغال القبائل بعضها ببعض واندفاعها في تيار الخصومات القبلية كان قمينا بصرفها عن معارضة نظام الحكم الأموي ، كما كان قمينا بالحيلولة دون تكتل القبائل المعارضة لحكمهم وتوحيد صفوفها.[3]

---

[1] تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص180.

[2] العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، د/ إحسان النص، الطبعة الثانية، 1973م، دار الفكر، ص257.

[3] العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص257.

ولا يخفى أن كوكبة من الشعراء ظهروا في العصر الأموي لاسيما من عرفوا بشعراء النقائض كان لهم الدور الأقوى في إثارة تلك العصبيات بين القبائل "إما من طريق مباشر من دعوتهم القوم إلى الثأر وتحريضهم على قتال القبائل المعادية لهم، وتحديهم خصوهم، وإما من طريق غير مباشر هو تلك المفاخرات والمناقضات التي كانت تقع بينهم".

وإلى جانب كلّ ما تقدم فقد كانت حياة اللهو شائعة، وكان الناس يميلون إلى الملاهي في معمعة فراغهم "أما العوامل الاجتماعية فمردها إلى حاجة المجتمع العربي – خاصة في البصرة – إلى ضربٍ من الملاهي يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة....".[1]

وإذا علمنا أنَّ النقائض تقوم على أغراضٍ شعرية كثيرة، فلابد أن أقَرر هنا أنَّ الهجاء يقع في المرتبة الأولى كغرضٍ قوي لا يمكن أن تقوم النقيضةُ – قيامها القوي – بعيدة عنه، سواءً كان ذلك قبل الإسلام أو إبان ظهوره، أو بعد ذلك.

ولو لم يكن الأمر كذلك لما قال عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت –رضي الله عنه– (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك)،[2] وقوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه–: (خلّ عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل).[3]

والحقيقة أنَّ الهجاء المقذع غير المسؤول، الذي يكون فيه هتك للعورات، ونطق بالمحرمات، وخدش للمروءات هو هجاءٌ تبغضه الطِّباع السليمُة، وتهفو إليه المريضة.

فما أجمل النقائض عندما تكون حميّةً لله ورسوله، ودفاعا عن حمى الدين، وأسوار الفضيلة! وما أشنأها فخرا بنسب وقبيلة، وحمدا بفعلٍ باطلٍ، وهتكاً للأعراض والحرمات!

---

[1] تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي – شوقي ضيف، دار المعارف، ط7، ص241.

[2] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ج2، ص146.

[3] صحيح سنن الترمذي باختصار السند ، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، 1408هـ، المكتب الإسلامي في بيروت، الجزء الثاني، ص 374.

وسواءً كان الهجاءُ تعريضا أو كان تصريحا فإنَّ تجنب الفاحش منه، ومن القذْف الذي يحرمه الإسلام هو الأجدر والأحوط.

أما بالنسبة للدواعي الاقتصادي التي أذكت العصبية القبلية في العصر الأموي فقد جاءت من رغبة كل قبيلة في الحصول على مكاسب مادية سواء كانت تلك المكاسب من مغانم الحروب، أو ربما اتجه النزاع القبلي إلى الصراع التقليدي على موارد المياه، ومنابت الكلأ.

ولقد استهجنت كثيرا من تلك الأبيات التي أخفق فيها جرير في هجائه وهو نفسه يعترف بهذه الإخفاقات في أكثر من موضع عندما راجع هجاءه في أبيات محددة علم أنه تجاوز الحد، وجنح عن المقصود، ومن ذلك ما نقلَ من أنه استغفَر مما قاله في جِعثن[1] حين قال:

أتمدح يا ابن القين سعدا وقد جرت لجعثن فيهم طيرها بالأشائم

قال اليربوعي: كَذَب عليها جرير، قال: وكان جرير يقول كثيرا: أستغفر الله مما قلْت لجعثن، وكانت إحدى الصالحات.[2]

ومن هجائه الفاحش كذلك قوله:

ضرب الخميس على بنات مجاشع حتى رجعن وهن غير عذاري

أستغفر الله مما قاله جرير فإنه قَذف يحرمه الإسلام، والمسلم ينبغي أن يكون ملتزما بإسلامه، ناشرا لفضائله، محبّبا النّاس فيه.

---

[1] جِعثن: أخت الفرزدق لأبيه وأمه.

[2] نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 286.

ويتعدى جرير في بعض أبياته على الفرزدق راميا له بالفسق، معترضا على خلْقَته التي خلَقَه الله عليها فيقول:

لقد ولدت أم الفرزدق فاسقا وجاءت بوزواز قصير القوائم

الفصل الثاني

الموضوعات في شعر النقائض

المباحث:

1- **شعراء النقائض**

2- **نماذج شعرية للجرير والفرزدق**

المبحث الأول: شعراء النقائض.

هؤلاء الشعراء الثلاثة الأخطل وجرير والفرزدق، اتفق نقاد العصر العباسي وأدباؤه على أنهم اشعر أهل العصر الأموي، فهم الطبقة الأولى من الشعراء الأمويين وهم فحول الشعر العربي وأقطابه الكبرى.[1]

وما يزال النقاد والأدباء والمحدثون يعتنقون هذا الرأي ويؤمنون به، لأنهم خير من يمثل العصر، ولأنهم دفعوا فن الشعر حقا إلى التعبير عن طاقات جديدة وقد ذهب شعرهم – أو كاد – في تدبيج قصيدتي المدح والهجاء.

والحق أن جريرا كان يتفوق على خصميه جميعا في الهجاء، وقد شهد له الأخطل بذلك، إذ قال الفرزدق فيما يروي الرواة:

"إن جريرا أوتي من سير الشعر ما لم نؤته، قلت أنا بيتا ما اعلم أن أحدا قال أهجى منه."

قلت:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار[2]

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر، وقال هو:

والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الامثالا[3]

وإذا لاحظنا نقائض جرير والفرزدق فهي مشابهة لنقائض جرير والأخطل فهما يعنيان بتاريخ القبائل في الجاهلية والإسلام، وهما يخلطان العصبيات بالسياسة، وقد ساقت الظروف تغلب لتقف في صفوف بني أميه ضد قيس، كما ساقت الأخطل التغلبي ليكون شاعر بني أمية منذ عصر معاوية ولسانه الناطق في الجزيرة والعراق.

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1412هـ/1992م، ص06.

[2] ديوان الأخطل، ص1478.

[3] ديوان جرير، ص451.

أ. جرير: نسب جرير من قبل أبويه.

جرير بن عطية بن الخطفي، والخطفي لقب، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظله بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرابن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار، ويكنى أبا حزره ولقب الخطفي لقوله:

يرفعن لليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا.

أمه: وأم جرير أم قيس بنت معبد بن عمير بن مسعود بن حارثه بن عوف ابن كليب بن يربوع، وأم عطية النوار بنت يزيد بن عبد العزى بن مسعود بن حارثة ابن عوف بن كليب هذا في الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني[1] وقيل هي حقه بنت معبد الكلبية، وفي قاموس الفيروز آبادي حقه هو لقب أمه لا اسمها.

الكنيه: أبو حزرة، وذلك لابن له سماه حزره وكان كبير أولاده، وعطية اسم والده أنه كان إذا جاع عمد إلى عنز وجعل يمص ضرعها خوفا من سماع صوت الحليب فيطلب منه اللبن. ويقول شوقي ضيف" وكان أبوه عطية متخلفا في المال أما جده الخطفي فكان كثير المال من الغنم والحمير وقد أتاه من قبله الشعر.[2]

وكان للخطفي شأن حسن في أيامه حتى فاخر جرير صاحبه الفرزدق حينما كان يدلي كل منتهاه بمأثرة فقال جرير:

بني الخطفي حتى رضينا بناءه فهل أنت إن لم يرضك القين فاعل

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، طبعة دار الكتب بمصر/ ت: إبراهيم الأبياري، ص 2749-2750.

[2] عر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج1، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط7، 1997م، ص664.

بيئته:

ولد في اليمامة في قرية اسمها ثرمداء، وعندما اشتد ساعده وشب عن الطوق انتقل إلى قرية أخرى تدعى المروت وأقام فيها .كانت بعيده عن المدن المشهورة، لذلك كان صوته ضعيفا في الوصول إلى الناس عندما يرد هجاء الشعراء عنه وعن قبيلته وهذا مما دفع قومه ليرسلوا إليه قائلين:

"إنك مقيم بالمروت والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك وليس أحد يروي عنك، وقد ملأها عليك منذ سبع حجج.[1]

لقبه-:

لقب جرير بابن (المراغه) والمراغه لقب نبزت به أمه وهذا اللقب أطلقه الأخطل عندما هجا جريرا، قول ابن خلكان": وقول عبد الملك: "ما زاد ابن المراغه، وهذا لقب لأم جرير هجاه به الأخطل.[2]

عائلته: تزوج جرير ثلاث نساء ذكرهن في اشعاره.

الأولى: خالده أم ابنه البكر حزره وكانت أحبهن إلى قلبه ففي رثائها ابلغ دليل على ذلك الحب يقول فيها:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار[3]

[1] تاج الدين شلق: شرح ديوان جرير، ص245.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص325.

[3] ديوان جرير، ص154.

الثانية : أم ابنيه نوح وبلال وقد كانت ذات حسن وجمال.

الثالثة : أمامه أم زينب وهي الجارية التي أهداها له الحجاج.

ودع أمامه حان منك رحيل إن الوداع إلى الحبيب قليل[1]

أولاده وأحفاده:

كان لجرير عدد من الأولاد من الذكور ومن الإناث، ومن الأولاد حزرة الذي يكنى به، وعكرمة، وسوادة، وحكيم، ونوح، وبلال، وموسى. ومن بناته ربداء وجعادة.

ومن أحفاده حجناء بن نوح، وعمارة بن عقيل بن بلال الذي كان فصيحا ومداحا للخلفاء العباسيين، كان جرير يجلس إليهم، يحدثهم بالشعر والشعراء فنشئوا جميعا شعراء مجيدين.[2]

صفاته:

ولد جرير وهو ابن سبعة أشهر قبل أن يستقم وينضج في رحم أمه والسبب كما ذكر كتاب" فن الهجاء وتطوره عند العرب":

أن ضعفا عاما أصاب والدته وذلك من دأب والدته على العمل المرهق وهي تحمله، وأنه ولد ضعيف البنية إذا لم يكن لآباء ذلك العصر حيل للعناية بمثل هؤلاء الأطفال.

وقد ذكر أبو عبيده[3] أنه كان دميما قصيرا به غنة، وإذا وازنا بين نشأة الحطيئة وهو أبو الهجاء الصادر عن اللعنة والعاهة في الشعر العربي ونشأة جرير، لوجدنا أن بينهما

---

[1] ديوان جرير، ص378.

[2] نفسه، ص 11/10.

[3] النقائض، ص827.

شبها قريبا فكلاهما كان قصيرا دميما وإن تضاعفت عاهة الأول بكونه أفقم، فقد تضاعفت عاهة الثاني بكونه وضع في الشهر السابع.

وإذا كان الأول ضائع النسب مخذولا بين القبائل، فإن الثاني كان ذليل الولد، مخزيه . وقد نشأ كلاهما في بيئة هوان وذل، لاسؤدد له يحرص عليه ويمنعه عن الفحش والإقذاع، وقد كان جرير أعق الناس بأبيه وابنه عاقا له: اخبرني الحسن بن علي الخفاق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال: كان جرير من أعق الناس بأبيه، وكان بلال ابنه أعق الناس به، فراجع جرير بلالا الكلام يوما، فقال له بلال: الكاذب مني ومنك. فاقبلت أمه عليه وقالت: يا عدو الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فو الله لكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي.[1]

كان جرير يحب الطيب واللباس الفاخر، كما كان يحب الطرب والمجالسة دون مجون، وفوق هذا كله تدينه وعفته فقد كان عفيفا عزهاه.[2]

وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيبا وكان الفرزدق يقول:

"وما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره كما ترون.[3]

ويظهر عفافه في قوله:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام.[4]

وأيضا كان جرير شجاعا وحازما شريفا وكريما، ويظهر ذلك في الأبيات التي أوصى بها ابنه حزره ليسير على منهاجه في قوله:

---

[1] النقائض، ص07.

[2] العزهاه بكسر العين: العارف عن اللهو والنساء لا يقرب اللهو.

[3] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، دار المعارف بمصر، 1966م، ص94.

[4] ديوان جرير، ص551.

يا حزر أشبه منطقي وأجلادي وكريان الأمر بعد الإيراد

وعدوتي في أول الجمع العاد وحسبي عند بقايا الأزواد

وحبي الضيف إلي جنب الزاد.[1]

- **اتصاله بالخلفاء:**

إن الخلفاء والأمراء الأمويين أفسحوا المجال للشعراء ليمدحوهم فيجزلوا لهم العطاء تعزيزا لمآربهم السياسية، وكان الشعراء يترحلون في سبيل الشهرة والمجد.

وإن أول خليفة وفد إليه جرير ونال منه جائزة هو يزيد بن معاوية واتصل جرير بالحجاج بن يوسف الذي اتخذه شاعرا رسميا يمدحه ونال رضا الخليفة عبد الملك ومدحه . كما يقولون بأفضل بيت في المدح وهو:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح.[2]

واتصل أيضا بالخليفة التقي الزاهد عمر بن عبد العزيز، والذي أوصد أبوابه من دون الشعراء سوى جرير، لما عرف فيه من عفته وحسن تدينه.

رؤيا أمه وهي حامل:

اخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال:

حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيده قال: رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر اسود، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها:

---

[1] ديوان جرير، ص139.

[2] نفسه، ص98.

"تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة شكيمه وبلاء على الناس، فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها.

هجاء جرير لخصومه:

كان جرير قد تمرس على الهجاء قبل الأخطل في كثير من الشعراء أمثال الفرزدق والراعي النميري والبعيث وتخرج في هجائه على أساليب الإقذاع والفحش وإدراك المثالب والعورات، ولم يكد يدع معنى هجائيا دون أن يلم به ويتوله في حدود الغلو والتفضيل والتأويل حتى بات يجري فيه على سنة وعرف.

فالمعاني الهجائية غدت أليفة بالنسبة إليه، يتوقعها كيفما بدا له ويتفق لها بكل حيلة من حيل القول، أما الأخطل فكان قد تقدمت به السن ولم يؤثر عنه فحش وإقذاع لقيامه في البلاط واتخاذه المواقف الايجابية في الدفاع الدامي المضني عن قبيلته وأحلافها وتمجيده للدولة الأموية التي كان يضرب بسيفها ويقول قولها، وقد كانت ايجابية الأخطل، ودينه الخاص، الخارج به عن حظيرة الدولة عوائق تحول بينه وبين التمادي في ثلب خصمه والتعرض له بإيمانه ومباذله، فاقتصر من ذلك على النواحي والمبادئ والقيم العامة، كالبخل واللؤم وقلة الشأن والامتناع عن الفروسية وما أشبه.

أما جرير فقد أفاد من واقع الأخطل ومن قيامه، دون إجماع العرب، على النصرانية، فتولى ذلك في أصله الوضيع، فلم يعف عن ثلبه به غاية الثلب، حتى إنك لاتقع على قصيدة له دون أن يمعن فيها بتحقير خصمه من خلال دينه في صليبه وقديسيه أو تحليله للخمرة ولحم الخنزير، أو في مؤسساته كالرهبنة والكهنوت، معيرا أباه بالكفر، متغنيا بالطقوس الإسلامية، مقابلا بينها وبين الطقوس (المسيحية التي يتعقب عليها بكل ازراء وتسفيه وإقذاع).[1]

[1] إيليا سليم الحاوي: شرح ديوان الأخطل، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ص 56–60.

ثم إنه يتعرض للمرأة التغلبية عامة، ولوالدة الأخطل خاصة، مؤلبا عليها المعاني الهجائية النابية التي لم يقدر لأي شاعر قبله أن يلم بمثل إقذاعها وبذاءتها مسميا المعاني والصور الجنسية بأسمائها واصفا لها بأوصافها لقد هتك المرأة التغلبية وأزرى بها وثلبها إذ كان موضوعها أكثر الموضوعات تكرارا لديه يحلف به ويستطرد ويفصل في أبيات تطول، غالبا، ليمكننا القول إن الدين والمرأة كانا أهم موضوعين لهجائه الحاد، الأخطل.

وقد يعيره بدفع الجزية وشرب الخمر كاستطراد من موضوع الدين ويخلص من ذلك إلى التفاخر بالإسلام وبالأخلاق معددا أيام انتصارهم على التغلبين .ومن خلال ذلك نأخذ الجانب العقائدي في هجائه للأخطل ونفصل فيه وفيه يعرض إلى تعييره بالصليب، كما في قوله:

قرنتم بذات الصليب بفالج قطوع لاعناق القرائن، مثغب

وأسلمتم حظ الصليب، وقد رأوا كتائب قيس تستدير عقابها

ستعلم ما يغني الصليب إذا غدت كتائب قيس كالمهنأة الجرب

وأما النصارى العابدون صليبهم فخابوا ، وأما المسلمون، فافلحوا

أفبا لصليب ومار سرجس تتقي شهباء ذات مناكب جمهورا

نبئت تغلب يعبدون صليبهم بالرقتين إلى جنوب الماخر

يستنصرون بمار سرجس وابنه بعد الصليب ومالهم من ناصر

خسر الأخطل والصليب وتغلب ويكال ما جمعوا بمد خاسر[1]

[1] اسماعيل الصاوي: ديوان جرير، ص 292-308.

وعندما ننظر في هذه الأبيات نرى أنه أقحم عليها الصليب إقحاما ساديا قبيحا خبيثا، إذ لا علاقة ظاهره له بما ألحقه به، فالحرب قامت بين القيسيين والتغلبين على منازعات قبلية وسياسية، إلا أن جريرا جعلها وكأنها قائمة بين دين وآخر، بين النصرانية والإسلام، ليزري بخصمه في دينه.

ففي البيت الأول يفخر على التغلبين ويدعوهم بني ذات الصليب، وقد كان تلقيبه بهذا اللقب نوعا من الهجاء الديني الفاقد المبرر المشتط عن غايته، انثنى فيه الشاعر إلى المعنى اليسير العامي الذي لا هجاء فعليا فيه وإن خرجه تخريج هجاء، فهجاء جرير لا يستقيم هنا، إلا في حدود المهاترة دون إبداع وخلق وتلمس لجانب العار الفعلي في الخصم، ولا تعدو ذلك سائر الأبيات حيث جعل انتصار القيسيين انتصارا على الصليب.

نقول في مثل ذلك أن الشاعر أفاد من القيم الجديدة الطارئة على العصر إذ لم نكد نشهد، قبلا، هجاء بالدين بين النصارى والمسلمين، آخذا خصمه بما يعجز أو بما يعف عن أخذه به، إذ كان الأخطل يقول قول المسلمين في عقيدتهم .وقد نصنف ذلك في باب الشتم والابتذال والإسفاف الفني إذ فسر النتائج بغير أسبابها، أو أنه افتعل لها أسبابا غير فعلية ليفيد من ذلك زراية وهمية افتراضية.

ومثل هذا الهجاء يستثير الدهماء لكنه لا يجوز على أصحاب الذائقة الفنية الصائبة، ولسنا في ذلك بصدد نقض الهجاء، إن الإنسان العاقل إلى أي دين انتمى إليه لا يحفل بهذه الترهات، وإنما نحن بصدد التقييم الفني لهجائه وقد بدأ لنا أن في ذلك نبوا عن القصد ومداورة على الموضوع بما علق به من طوارئ لا شأن لها به، فذكر الصليب في هذا المقام، هو تقرير بالقارئ وتوليد لحالة يلتبس بها الهجاء بما دونه.[1]

الفرزدق:

[1] إيليا حاوي: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص390.

الفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت .وقيل بل هو قطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف وشبه وجهه بذلك لأنه كان غليظا جهما.

واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظله بن زيد مناه بن تميم.

كان الفرزدق بشع المنظر، فوجهه غليظ جهم القسمات، لا يشبهه إلا غلظ طبعه .وهو على جهامته وضخامة قسماته منقر من آثار الجدري. ومن أجل ذلك لقب بالفرزدق ومع هذا كان غليظا قصيرا أصلع.[1]

أم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، وكان للفرزدق أخ يقال له هميم، ويلقب الأخطل، فاعقب ابنا يقال له محمد، فمات والفرزدق حي، فرثاه.

كان الفرزدق له من الولد خبطه ولبطه وسبطه، هؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم، فماتوا ولم يعرفوا، وكان له بنات خمس أوست.

وأم الفرزدق، لينه بنت قرظه الضبية. وكان يقال لصعصعه محي المؤودات، وذلك أنه مر برجل من قومه وهو يحفر بئرا، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعه: ما يبكيك؟ قالت :يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟

قال :الفقر، قال :فإني اشتريها منك بناقتين، يتبعهما أولادهما، تعيشون بلبانها، ولا تئد الصبية، قال :قد فعلت، فأعطاه الناقتين، وقال في نفسه :إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألا يسمع بمودة إلا فداها.[1]

[1] محمد محمد حسين: الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص124.

وقد فخر بذلك الفرزدق في إحدى قصائده فقال:

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر[2]

حدثني محمد بن يحي قال :حدثني محمد بن القاسم قال :حدثني أبو زيد النحوي عن أبي عمرو قال–: جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام بالفرزدق، فقال: إن بني هذا من شعراء مضر، فاسمع منه فقال :علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيد نفسه في وقت وآل أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.

قال محمد بن يحي أن الفرزدق كان شاعرا موصوفا أربعا وسبعين سنه، لأن مجيئة به بعد الجمل، كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائه.

اخبرني محمد بن يحي قال: حدثنا الغلابي، عن ابن عائشة عن أبيه قال: "قال الفرزدق كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان.[3]

قبيلته وأسرته:

ينتمي الفرزدق الشاعر إلى قبيلة تميم، إحدى قبائل مضر الكبرى، وتمتد بلاد تميم غربا في اليمامة فتخالط حنيفة التي استأثرت بحاضرة اليمامة.

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج21، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، 1379هـ/1960م، ص 229–230.

[2] عبد الله الصاوي صاحب دائرة المعارف للأعلام العربية: شرح ديوان الفرزدق، ج2، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر لصاحبها مصطفى محمد، مطبعة الصاوي، بدون تاريخ، ص477.

[3] كتاب الأغاني، ج21، ص308.

كانت تميم قبيلة ضخمة قوية، تعتز بكثرة عددها،" لنا عدد يربى على عدد الحصا "، حتى عدها ابن حزم قاعدة من اكبر قواعد العرب، فحمت بقوتها وبأسها بلادها الفسيحة، وكانت تميم من الجماجم، وهي القبائل التي يتفرع من كل واحده منها قبائل اكتفت بأسمائها. وعرفت لتميم وقائع مشهورة وأيام مأثورة، نشبت بينها وبين جيرانها الآخرين في الجاهلية، فكان منها بينها وبين قبائل قيس المضرية، والشطر الآخر بينها وبين قبائل ربيعة، وبكر بن وائل خاصة.

عرف الرسول (ص) أقدار إشراف تميم ، فقال في قيس بن عاصم المنقري: سيد أهل الوبر، وسمع اعتذار عمرو بن الأهتم فقال" :إن من البيان لسحرا .ولما أزمعوا العودة جوزهم فأحسن جوائزهم.

وقدم سبأ بني العامرة العنبر على النبي (ص)، فركب فيهم وفد من بني تميم، منهم الأقرع بن حابس، فاعتق النبي (ص) بعضا، وأفدى بعضا، فكانت إحدى المفاخر التي إشاد بها الفرزدق في مناقضته جرير.

كان الفرزدق من مجاشع بن دارم، ودارم بطن حل من تميم في ذؤابتها واقتعد سنام مجدها، وإليه انتهى شرفها." ومن شرف الفرزدق أن ليس بينه وبين معد بن عدنان أب مجهول. فقال:

كم في من ملك أغر وسوقة حكم باردية المكارم محتبى

وإذا عددت وجدتني لنجيبة غراء قد أدت لفحل منجب[1]

[1] عبد الله الصاوي: ديوان الفرزدق، ج1، ط1، 1354هـ/1936م، مطبعة الصاوي، ص38.

ولن نفيض في تعداد مآثر بيت الفرزدق، وما عرف به رجاله من الحنكة، وإصابة الرأي ، وجودة الحكم، حتى أقرت العرب للأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي أن يكون حاكمها.

أما غالب أبو الفرزدق فأمه ليلى بنت حابس بن عقال، أخت الأقرع ابن حابس حاكم العرب، والتي أمدت الفرزدق بمنهل من مناهل الفخر، وكان غالبا سيدا من سادات مجاشع، طويل عماد البيت، جوادا، متخرق اليدين في العطاء، وهب فأجزل، وسخا فأفرط، وجاوز الحد.[1]

اصهر غالب إلى بني ضبة، وتزوج منهم لينة بنت قرظة من بني السيد ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، فولدت له الأخطل، والفرزدق وجعثن، نعم الأبناء برعاية أبيهم وحبه، فشبوا على احترامه.

وكان الأخطل اكبر الأبناء فكني به غالب أبوه، وكان من وجوه قومه، فصيح اللسان، يقول الأبيات في الشعر، وكان الفرزدق يفتخر به ويراه أهلا أن يقرن بينه وبين أخطل تغلب يقول:

ستبلغ عني الأخطلين: ابن غالب وأخطل بكر حين عب عبابها[2]

فرأى جرير الفرصة سانحة، فاتهم الفرزدق بانتحال شعر أخيه، ولما مات رثاه أخاه الفرزدق رثاء دل على مكانته منه:

أخي، ما أخي، ما من أخ كان مثله لليلة ريح للقرى، ونصير[3]

[1] شاكر الفحام: ديوان الفرزدق، ط1، 1397هـ/1977م، ص 99-111.

[2] المصدر نفسه، ص56.

[3] عبد الله الصاوي: ديوان الفرزدق، ج1، ط1، ط1، ص345.

نشأة الفرزدق وشبابه:

الفرزدق اسمه همام–بصيغة المبالغة، من الهمة، سمي باسم عمه همام ابن صعصعة، وكان أبوه غالب يناديه باسمه مصغرا: هميم، وكنيته أبو فراس، وهي كنية الأسد. أما الفرزدق فلقب غلب عليه، وأطال الرواة في سبب تلقيبه.

قال بعضهم :أنه كان قصيرا غليظا، فشبه بالفرز دقه، وهي الجر دقة التي تدق، ويشربها النساء.

ولد الفرزدق في خلافة عمر بن الخطاب، وهيئت له نشأه طيبه، في بيت ورث المجد وفعل المكرمات، وكان الفرزدق يصغي إلى ما يسمع، ويحفظ ما يقال، قد أوتي الفطنة والذكاء والموهبة، وأوتي حافظه واعية ينتقش فيها الكلم فما يزول "لم يغفل العلم صدره."

وقد تركت النشأة البدوية آثارها في الشاعر، بل أنها طبعته بطباعها فظل طوال حياته وفيا لها، وهي مدارج صباه وعندما تسمعه يقول:

وإن أهل بادية ولسنا بأهل دراهم حضروا القرارا[1]

وملأه الحنين وهو في المدينة التي كان يؤثرها ويفضلها فلم يقو أن يغالبه فقال وكان أقرب إلى الثمانين:

ويا ليت زوراء المدينة أصبحت بالحفار فلج، أو بسيف الكواظم[2]

فلما دلق إلى التسعين، عاد يتغنى:

لفلج وصحراواه لو سرت فيهما أحب إلينا من دجيل وأفضل[1]

---

[1] عبد الله إسماعيل الصاوي: شرح ديوان الفرزدق، ج1، ط1، ص345.

[2] عبد الله الصاوي: شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص851.

حياته:

بدأ الفرزدق حياته في المدينة، وكان يتشوق إلى بلده، وأنه استفتح أولى قصائده بذكر ظمياء، فإذا حبه لها متأجج اللهب، فقلبه أبدا متعلق بها لا ينساها، ويجره الحنين إلى التغني بجمال محبوبته والتي ظلت على ودادها له حين نذر أعداؤه دمه وأخذوا يتوعدونه:

إذا أوعدوني عند ظمياء ساءها وعيدي وقالت:لا تقولوا له هجر[2]

شيخوخة الفرزدق:

(125، فأقبل الشاعر وقد بلغ من – جاء عهد هشام بن عبد الملك105) الكبر عتيا، وكان يجيئه من الصحاري والرمل، فيقطع هذه الصحاري بحرها المتلظي وهجيرها المتأجج، تشاركه المتاعب والجهد ناقته، ولكنه يحاورها فيرق حديثه إليها، ويمنيها أجمل الأماني:

إلام تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى تأتي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي[3]

وفاة الفرزدق:

اخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثني محمد بن موسي قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي قال: اخبرنا أبو حاتم السجستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة :وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته، قال: ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناه إياه فقال: يا بني إنك عجلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت قل لا إله إلا الله.

---

[1] نفسه، ص626.

[2] شاكر الفحام: ديوان الفرزدق، ط1، ص132.

[3] عبد الله الصاوي: شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص838.

وجعلت أكررها عليه مرارا ، فنظر إلى وجعل يقول:

وظلت تعالي باليفاع كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز[1]

اخبرني أبو خليفة قال :حدثني محمد سلام قال :حدثني شعيب صخر قال دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه وهو يقول: اخبرني أبو خليفة قال: حدثني محمد سلام قال :حدثني شعيب صخر قال دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه وهو يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن العتاب

إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم علي من التراب[2]

والسبب في قوله هذه الأبيات كان الفرزدق قد دبر عبيدا له، وأوصى بعتقهم بعد موته وبدفع شئ من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر اهل بيته وجعل يقول هذه الابيات.

اخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا أبو العراف قال: نعى الفرزدق لجرير وهو عند المهاجرين عبد الله باليمامة فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليل

فقال له المهاجر بئس ما قلت، أتهجو ابن عمك بعد ما مات، لو رثيته كان أحسن بك، فقال: والله لأعلم بقائي بعده لقليل. قال: لو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

المبحث الثاني: نماذج شعرية للجرير والفرزدق.

1-الكرم:

[1] شاكر الفحام: ديوان الفرزدق، ص95.

[2] عبد الله إسماعيل الصاوي: شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص114.

خلق رفيع، يسمو بصاحبه إلى مصاف إيثار الآخر، ويروثه السيادة والذكر الحسن، وفي اللسان:

"الكريم: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل".

فعند هذا قال ابن عباس رضي الله عنه: "لسادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نشائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: "من يضيّف هذا الليلة رحمه الله تعالى"، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي (ص) فقال: "قد هجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"،[1] وكان كرمه كرما في محله، ينفق المال لله وبالله، إما لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفا على الإسلام، أو تشريعا للأمة.

والكرم متأصل في العرب منذ الجاهلية يقول حاتم الطائي:[2]

أماويّ قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنا عن طلابكم العدر

[1] مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، والحديث في كتاب الأطعمة، باب في إيثار الضيف رقم 1309، ص 346–347.

[2] ديوانه، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ، '209–214. وانظر: العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود، ج1، ص356.

أماويّ إنّ المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذّكر

أماويّ إمّا مانع فمبين وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

أماوي إني لا أقول لسائل إذا جاء يوما حلّ في مالي الندر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

إلى أن يقول:

وقد يعلم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

فحاتم الذي هو مضرب المثل والكرم عند العرب يخاطب زوجه التي عذلته على إنفاقه، يجادلها هذا الجدال العقلي المقنع بأن المال لا يبقى، والذي يبقى منه فقط الذكر الحسن، ولكرمه فإنه لا يستطيع أن يرد ضيفا أو سائلا.

ويعد إكرام الضيف مما ترتفع به مكانة المرء، إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف، لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى، ومن أعظم مراتب ذوي الحجي، ومن خصال أولي النهى، ومن عرف بإطعام الطعام يشرف عند الشاهد والغائب وقصده الراضي والعاتب، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر.[1]

ومن أمثال العرب في الحض على الكرم قولهم: اصطناع المعروف يقي مصارع السوء، وقولهم: الجود محبة والبخل مبغضة.[2]

[1] التربية الإسلامية من هدي خير البرية، كتاب حكم وتوجيهات وآداب، للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الخليفي، مطابع الندوة 1423هـ، ص157–158.

[2] العقد الفريد، ج3، ص100.

2- الفخر:

ففي نقيضة جرير التي مطلعها:[1]

ألا حي الديار بسعد أني أحب لحب فاطمة الديارا

قوله:

وأحمد في القرى وأعز نصرا وأمنع جامبا وأعز جارا

فالشاعر يفخر بمناقبه ومناقب قومه، ومنها (القرى)، وقد جاء باسم التفضيل (أحمد) أي أنهم أكرم من غيرهم، وضيفهم يفوق منزلته عند غيرهم.

وفي ذات السياق افتخر الفرزدق بوراثة المكارم كابرا عن كابر، إذ يقول:[2]

وإن مجاشعا قد حملتني أمورا لن أضيعها كبارا

قرى الأضياف ليلة كل ريح وقدما كنت للأضياف جارا

فمن مكارمهم (قرى الضيف)، وجعله في ليالي الشتاء الباردة الممطرة، والتي تشتد فيها الريح، ما يجعل حاجة الإنسان إلى من يكرم وفادته أكثر منها في أي وقت آخر.

وفي سياق الفخر أيضا يأتي قول الفرزدق:

لا قوم أكرم من تميم إذ عدت عود النساء يسقن كالآجال

الضاربون إذا الكتيبة أحجمت والنازلون غداة كل نزال

---

[1] ديوان النقائض، ج1، ص218، وانظر: ديوان جرير، ص242.

[2] ديوان النقائض، ج1، ص223، وانظر: ديوان الفرزدق، ص354.

والضامنون على المنية جارهم والمطعمون غداة كل شمال

وقوله:

تعالوا فعدو يعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابع

وأي القبلين الذي في بيوتهم عظام المساعي واللهي والدسائع

فهو يفخر بكرم أجداده وكثرة عطاياهم.

وكذلك افتخاره بكرم جده صعصعة في إطلاق الأسرى وكرم زرارة بن عدس في قوله:

وصعصعة المجير على المنايا بذمته وفكاك العنات

وقوله:

لقيط من دعائمها ومنهم زرارة ذو الندى والمكرمات

وفخره بإطلاق سراح الأسرى في قوله:

كم كان من ملك وطئن وسوقة أطلقنه وبساعديه إسار

كان الفداء له صدور رماجنا والخيل إذ رهج الغبار مثار

وكذا قوله:

فلا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ومن الفخر بالكرم وتحمل الديات وإحياء الموءودات قول الفرزدق مفاخرا بأبيه وجده صعصعة:

أنا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعور

أبي أحد الغيثين صعيعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر

ومن فخر جرير بالكرم وإعطاء الهبات النفيسة قوله:

وأحمد حين يحمد بالمقاري وحال المربعات من السحاب

وأوفى للمجاور إن أجرنا وأعطى للنفيسات الرغاب

3- الهجاء:

والمقصود هنا بدء شاعر النقيضة (جرير أو الفرزدق) بهجاء خصمه وتعداد مثالبه ومثالب قومه، ثم يعود لإثبات مكارمه ومكارم قومه بعد أن ينفيه أو غيرها من المكارم عن خصمه وعشيرته، وقد يبتدئ بالمكارم ثم يعقبها بالهجاء، وذلك كقول الفرزدق:[1]

من مثل فارس ذي الخمار وقعنب والحنتفين لليلة البلبال

والردف إذ ملك الملوك ومن له عظم الدسائع كل يوم فضال

فقد جاءت هذه المكارم في سياق هجائه للفرزدث وقوله إذ يقول:

هذا تقدمنا وزجري مالكا لا يردينك حين فينك مال

لما رأوا جم العذاب يصيبهم صار القيون كساقة الأفيال

يا قرط إنكم قرينة خزية واللؤم معتقل قيون عقال

[1] ديوان النقائض، ج1، ص254-255، وانظر: ديوان جرير، ص382-383.

أمسى الفرزدق للبعيث جنية كابن اللبون قرينة المشتال

أرداك حينك يا فرزدق محلبا ما زاد قومك ذاك غير خبال

ولقد وسمت مجاشعا بأنوفها ولقد كفيتك مدحة ابن جعال

فانفخ بكيرك يا فرزدق إنني في باذج لمحل بيتك عال

لما وليت لتغر قومي مشهدا آثرت ذاك على بني ومالي

إني ندبت فوارسي وفعالهم وندبت شر فوارس وفعال

نحن الولاة لكل حرب تتقي إذ أنت محتضر لكيرك صال

من مثل فارس ذي الخمار وقعنب والحنتفين لليلة البلبال

فبعد أن هجا الفرزدق وعدّد مثالبه ومثالب (مجاشع) عاد ليفتخر بعطايا ملوك قومه (بني يربوع) وكرمهم الذي لا يحده زمان أو مكان، فهو يستمر حتى ساعة الفزع والحروب.

4- **الوصف:**

ورد ذكر الكرم في سياق الوصف، كوصف استقبال الضيوف، والأسرى، والقتال، ومن ذلك قول جرير:

ألم تعلمي أن الندى من خليقتي وكل أريب تاجر يتربح

وقوله:

سيكفيك والأضياف إن نزلوا بنا إذا لم يكن رسل شواء ملوح

فهو يصف إنفاقه للمال وعدم المتاجرة به، كما يصف استقباله للضيوف وتقديم الشواء لهم، ونصب القدر وإشعال النيران تحتها ليراها السائرون ويشاركوه طعامه، في يوم قائظ شديد الحرارة، وقد اختار هذا التصوير، لأن الضيف يكون في شدة حاجته لمن يضيّفه ويقيه حرارة ذلك اليوم.

وقوله:

ديارا من الحي الذين تحبهم زمان القرة والصارخ المتلهف

هم الحي يربوع تعادى جيادهم على التغر والكافون ما يتخوف

فقد جاء ذكر (القرى) في سياق وصف الرحلة للوصول إلى المحبوبة، إذ يقول في نقيضته التي مطلعها:[1]

ألا أيها القلب الطروب المكلف أفق ربما ينأى هواك ويسعف

إلى أن يقول:

نظرت ورائي نظرة قادها الهوى وألحى المهارى يوم عسفان ترجف ترى العرمس الوجناء يدمي أظلها وتحذي نعالا والمناسم رعف

إلى أن يقول:

ديارا من الحي الذين نحبهم زمان القرى والصارخ المتلهف

[1] ديوان النقائض، ج2، ص25–26، وانظر: ديوان جرير، ص313–314.

فقد ذكر المحبوبة ووصف رحلته للوصول إليها ثم ذكر الديار التي سار إليها وهي ديار معروفة بالكرم.

وكذا قوله:

بني مالك من كان للحي معقلا إذا نظر المكروب أين معاقله

فقد وصف استقبالهم لمن يستجير بهم، إذ يقول:[1]

لنا إبل لم تستجر عير قومها وغير القنا صما تهز عواملـه

رعت منبت الضمران من سبل المعى إلى صلب أعيار ترن مساحله

سقتها الثريا ديمة واستقت بها غروب سماكي تهلل وابلـه

ترى لحبييه ربابا كأنه غوادي نعام ينفض الزف جافله

تراعي مطافيل المهاو يروعها دباب الندى تغريده وصواهله

إذا حاول الناس الشؤون وحاذروا زلال أمر لم ترعها زلازله

يبيح لها عمر وحنظلة الحمى ويدفع ركن الفرز عنها وكاهله

بني مالك من كان للحي معقلا إذا نظر المكروب أين معاقله

فبعد وصف إبلهم ورعيها في الحمى لأنها إبل السادات من القوم عاد ليصف استقبالهم للمستجير بهم الذي اختارهم ووجه وجهه إليهم.

وفي ذات السياق قول الفرزدق:

[1] ديوان النقائض، ج2، ص68–69، وانظر: ديوان جرير، ص393–394.

أنا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعور

إلى أن يقول:

وفارق ليل من نساء أتت أبي تعالج ريحا ليلها غير مقمر

فقالت أجر لي ما ولدت فإنني أتيتك من هزلي الحمولة مقتر

هجف من العتو الرؤوس إذا ضغت له ابنة عام يحطم العظم منكر

رأى الأرض منها راحة فرمى بها إلى خدد منها وفي شر محفر

فقال لها نامي فإني بذمتي لبنتك جار من أبيها القنور

فبعد أن افتخر بكرم أبيه غالب عاد ليصف تلك المكرمة بفداء الموءودات اللاتي تتجه أمهاتهن إلى والده في الليالي المظلمة يشتكين فقر أزواجهن وعزمهم على وأد بناتهن، ليصل كرم غالب بن صعصعة إليهن ويفتديهن من آبائهن.

5- المدح:

ورد الكرم في سياق المدح عند جرير والفرزدق في مدحهما لقومهما؛ إذ يقول جرير:[1]

وجدت ليربوع إذا ما عجمتهم منابت نبع لم يخالطن خروعا

هم القوم لوبات الزبير إليهم لما بات مفلولا ولا متطلعا

وقد علم الأقوام أن سيوفنا عجمن حديد البيض حتى تصدعا

ألا رب جبار عليه مهابه سقيناه كأس الموت حتى تضلعا

[1] ديوان النقائض، ج2، ص219، وانظر: ديوان جرير، ص286.

فهو يمدح قومه لتحليهم بإكرام المستجير ودفاعهم عنه بسيوفهم الصارمة القاطعة للحديد.

وفي ذات السياق مدح الفرزدق لخالج القسري:

ألم تر كفّي خالد قد أفادتا على الناس رزقا من كثير الروافد[1]

فهو يمدح خالداً القسري علّه يعطف عل يه ويطلقه من سجنه.

6- الرثاء:

ومنه رثاء جرير للفرزدق وذكر مكارمه ومنها منقبة الكرم؛ إذ يقول:[2]

فمن لذوي الأرحام بعد ابن غالب لجار وعان في السلاسل موثق

ومن ليتيم بعد موت ابن غالب وأمّ عيال ساغبين ودردق

ومن يطلق الأسرى ومن يحقن يداه ويشفي صدر حرّان محنق الدّما

وكان حمولا في وفاء ومصدق وكم من دم غال تحمل ثقله

ومنه رثاء الفرزدق لأبيه غالب:

إنّي ضمنت لمن أتاني ما جنى وأبي وكان وكنت غير غدور

يقري المئين رميم أعظم غالب فيفي بها ويفك كل أسير

فهو يذكر مناقبه ومناقب أبيه ومنها إكرام الأسرى بإطلاق سراحهم.

---

[1] ديوان النقائض، ج2، ص325، وانظر: ديوان جرير، ص153

[2] ديوان النقائض، ج2، ص375، وانظر: ديوان جرير، ص337.

7- الحكمة:

فمن حكمة جرير إكرام الجار وتعظيم قدره واحترام حرمته وحرمة منزله؛ إذ يقول[1]:

أعف عن الجار القريب مزاره وأطلب أشطان الهموم الأباعد

فهو يطلب البعيد، ويسلك أسباب الوصول إليه، ويشير بالبعيد هنا السير إلى المحبوبة وهو ما أشار له في مطلع القصيدة، إذ يقول:

لعلّ فراق الحي للبين عامدي عشية قارات الرحيل الفوارد

لعمر الغواني ما جزين صبابتي بهن ولا تحبير حول القصائد

رأيت الغواني مولعات بذي الهوى بحسن المنى والخلف عند المواعد

لقد طال ما صدن القلوب بأعين إلى قصب زين البرى والمعاضد

وكم من صديق واصل قد قطعنه وأفتن من مستحكم الدين عابد

أتعذر أن أبديت بعد تجلد شواكل من حب طريف وتالد

فإن التي يوم الحمامة قد صبا لها قلب تواب إلى الله ساجد

ونطلب ودا منك لو نستفيده لكان إلينا من أحب الفوائد

فلا تجمعني ذكر الذنوب لتبخلي علينا وهجران المدل المباعد

بدأ الشاعر إجابته للفرزدق بهذا المطلع الغزلي، ولكنه برغم هذه الرقة إلا أن الحكمة ظاهرة في الأبيات فلا تؤثر النساء الجميلات فيه أو في شاعريته وتحبير قصائده، ولا يأخذه

[1] ديوان النقائض، ج2، ص328، وانظر: ديوان جرير، ص163-164.

ما يمنين به من الوعود، ومع ذلك فهو لا يخفي حبه القديم والجديد، حفاظا على ود مجاوريه وإكرامه لهم.

8- الشجاعة:

(شجع، بالضم، شجاعة: اشتد عند البأس)

والشجاعة: شدة القلب في البّأس).[1]

وهي مكرمة من مكرمات العرب في الجاهلية والإسلامية، ترفع من شأن صاحبها حتى يغدو مضرب المثل بها، وكم حملت كتب التاريخ من سير الشجعان حتى اقترنت بأسماء أبطال عرفوا بها كعنترة بن شداد في العصر الجاهلي، يقول ابن قتيبة: "وكان عنترة من أشد أهل زمانه، وأجودهم بما ملكت يده).

ولقب رسول الله "خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، لما كان عليه من شجاعة نادرة و (كان أشجع الناس وأمضاهم عزما وإقداما، كان الناس يفرون وهو ثابت، فقال العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه–: لما التقى المسلمون والكفار – يعني في حنين– وولّى المسلمون مدبرين، طفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة ألا تسرع، وكان يقول حينئذ: "أنا النبي لا كذب أن ابن عبد المطلب".[2]

[1] لسان العرب، مادة (شجع).

[2] مكارم الأخلاق، ث57، والحديث أخرجه مسلم رقم 76 كتاب الجهاد والسير، وأخرجه البخاري بنحوه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه رقم 2864 كتاب الجهاد، ورقم 4315، 4317 كتاب المغازي.

وقال علي رضي الله عنه: "كنا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه".[1]

ومن أكبر مظاهر الشجاعة حضور الذهن عند الشدائد، فشجاع من إذا عراه خطب لم يذهب برشده، بل يقابله برزانة وثبات ويتصرف فيه بذهن حاضر وعقل غير مشتت.[2]

وللشجاعة حد متى جاورته صارت تهورا، ومتى نقصت عنه صارت جنبا وخورا، وحدّها الإقدام في مواضع الإقدام، والإحجام في مواضع الإحجام، كما قال معاوية لعمرو بن العاص: أعياني أن أعرف أشجاعا أنت أم جبانا: تقدم حتى أقول من أشجع الناس، وتجبن حتى أقول من أجبن الناس، فقال:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة فإن لم تكن لي فرصة فجبان

فالشجاعة إذن هي الجرأة، والإقدام على المواقف الصعبة بقلب ثابت، وبصورة متزنة تنم عن تعقل وإدراك للنتائج.[3]

---

[1] مكارم الأخلاق، ص57، والحديث أخرجه أحمد في المسند (156/1)، وبنحوه مسلم 79، كتاب الجهاد من حديث البراء رضي الله عنه.

[2] كتاب الأخلاق لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط9، 1464هـ–2003م، ص193.

[3] القيم الخلقية في شعر عنترة بن شداد العبسي، رسالة ماجستير، إعداد فاتن بنت عبد اللطيف العامر– جامعة الملك فيصل بالأحساء، 1467هـ–1468هـ، ص69.

خاتمة

من خلال دراستنا ولو لجانب بسيط من فن النقائض يتبن لنا ما يلي:

- أن فن النقائض فن قديم وجد منذ العصر الجاهلي وترعرع حتى وصل إلى عهد بني أمية، وقد توافرت في هذا العهد الأسباب السياسية الاجتماعية والعقلية لرعاية هذا الفن، وجذبت إليه الشعراء.

- كما ونلاحظ أن هذا النوع من فنون الشعر يحتاج إلى شرائط من حيث اتحاد البحر والروي والمعنى.
- كما وقد عرفنا أقطاب هذا الفن في هذا العهد كيف استطاعوا تكريس شعرهم في سبيل الوصول إلى غايتهم. وعرفنا أنّ فن النقائض أحد الفنون الأدبية الجديدة، وأنه أفد العلماء في معرفة الأنساب والمفاخر عند العرب.

وقد كتبت عن صورة الموضوعاتية في شعر النقائض أشعار الجرير والفرزدق نموذجا، أولا تطرقت للحديث عن: شعر النقائض تحديد مفاهيمي. أما الفصل الثاني تناولت فيه الموضوعات في شعر النقائض.

وقد كانت فوائدي جمه من هذا البحث وقد أبحرت كثيرا في الكتب الأدبية والنقدية، وفوائد كثيرة لا تحصى ولا تعد.

1. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1412هـ/1992م.
2. ابن الأعرابي: شعر الأخطل، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1891م.
3. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، دار المعارف بمصر، 1966م.
4. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد ج01، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
5. أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د.ط، دار القلم بيروت، لبنان، د.ت.
6. أحمد بن محمد بن عبد ربّه، العقد الفريد، ج03، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، د.ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

7. أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، د.ط، دار القلم، بيروت لبنان، د.ت.
8. إيليا سليم الحاوي: شرح ديوان الأخطل، دار الثقافة، بيروت–لبنان.
9. أبو عبيدة معمر بن المثني، نقائض جرير والفرزدق، طبعة مكتبة المثني في بغداد.
10. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج01.
11. حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1980.
12. شاكر الفحام: ديوان الفرزدق، ط1، 1397هـ/1977م.
13. أحمد محمد الخوف: أدب السياسة في العصر الأموي، ط1، 1960م، دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
14. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط01، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
15. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي.
16. عبد الله الصاوي: ديوان الفرزدق، ج1، ط1، 1354هـ/1936م، مطبعة الصاوي.
17. عر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج1، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط7، 1997م.
18. كتاب الأغاني، ج21.
19. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، مراجعة صدقي جميل العطار، ج05، ط02، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002.
20. محمد عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، ج01.
21. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية.
22. محمد محمد حسين: الهجاء والهجاءون في الجاهلية.
23. مروج الذهب، ط1، بيروت، 1353هـ–1965م. ت: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر.

24. مهدي محمد ناصر الدين: ديوان الأخطل، ط1406هـ-1986م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
25. أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج21، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، 1379هـ/1960م.
26. التربية الإسلامية من هدي خير البرية، كتاب حكم وتوجيهات وآداب، للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الخليفي، مطابع الندوة 1423هـ.
27. عبد الله الصاوي صاحب دائرة المعارف للأعلام العربية: شرح ديوان الفرزدق، ج2 يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر لصاحبها مصطفى محمد، مطبعة الصاوي، د.ت.
28. كتاب الأخلاق لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط9، 1464هـ-2003م.
29. مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، والحديث في كتاب الأطعمة، باب في إيثار الضيف رقم 1309.
30. أبو الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج02، د.ط، موفم للنشر 1989.

المخطوطات:

31. القيم الخلقية في شعر عنترة بن شداد العبسي، رسالة ماجستير، إعداد فاتن بنت عبد اللطيف العامر- جامعة الملك فيصل بالأحساء، 1467هـ-1468هـ.

المواقع الإلكترونية w w w.homatalaqsa.com

فهرس

مقدمة.....أ–ج

مدخل..... 02

الفصل الأول: شعر النقائض تحديد مفاهيمي

المبحث الأول: تحديد اللغوي والاصطلاحي لشعر النقائض..... 16

1–تحديد اللغوي..... 16

2– تحديد الاصطلاحي..... 17

المبحث الثاني: النشأة والظهور..... 23

1–ظروف النشأة..... 23

2–البعد القيمي لشعر النقائض..... 26

1–الوجه سياسي..... 26

2–الوجه الاجتماعي..... 29

3–الوجه لغوي..... 30

4–الوجه الأدبي..... 30

5–الوجه الفكري..... 31

الفصل الثاني:الموضوعات في شعر النقائض.

المبحث الأول: شعراء النقائض..... 39

1–الجرير..... 40

2–الفرزدق..... 48

المبحث الثاني: نماذج شعرية للجرير والفرزدق..... 55

1– الكرم..... 55

2– الفخر..... 57

3– الهجاء..... 60

4– الوصف..... 61

5– المدح..... 64

6– الرثاء..... 65

7– الشجاعة..... 66

خاتمة:..... 71

قائمة المصادر والمراجع:..... 73

فهرس المحتويات.